منهاج النّجاة

تأليف:

المحقّق العظيم والمحدّث الكبير محمد محسن بن الشاه مرتضى المشتهر بـ

الفيض الكاشاني

المتوفّى سنة ١٠٩١ هـ

تحقيق وتعليق: قسم الدراسات الاسلاميّة

منشورات قسم الدراسات الاسلامية

الكتاب: منهاج النجاة
المؤلف: الفيض الكاشاني (ره)
الناشر: موسّسة لبعثة ــ قسم الدراسات الاسلاميّة
الطبعة الاولى: ١٤٠٧هـ.ق
التوزيع : طهران ــ شارع سميّة ــ مؤسّسة البعثة ــ رقم الهاتف: ٨٢١١٥٩

مقـــدمـة النـاشـر

١ــ ترجمة المؤلف[1]

محمّد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المدعوّ بالمولى محسن القاشاني، المعروف بالفيض أحد نوابغ العلم في القرن الحادي عشر. كان نشؤه في بلدة قم المشرّفة، فانتقل إلى قاشان، ثمّ ارتحل إلى شيراز بعدما سمع بورود السيّد ماجد بن عليّ البحراني[2] تلك البلدة للأخذ من منهل علومه، ومن المولى صدرالدين الشيرازي وتخرَّج عليهما وتزوَّج ابنة المولى الصدر المعظَّم، ثمَّ غادرها إلى قاشان[3] وكان هنالك مرجعاً فذّاً لانِدَّ له إلى أن توفّي بها سنة ١٠٩١ وهو ابن أربع وثمانين[4]، ودفن هناك وقبره مشهور يزار.

جمل الثناء عليه

إطباق العلماء على فضله وتقدُّمه وبراعته في العلوم يغنينا عن سرد جمل الثناء

١) هذا الجزء نقل نصاً من مقدمة علي اكبر غفاري التي كتبها لكتاب «المحجّة البيضاء» طبع مكتبة الصدوق.

٢) هو السيد ماجد بن علي بن المرتضى بن علي بن ماجد أبو علي الحسيني البحراني، من أجلّ فضلاء البحرين وأُدبائها . كان أوحد زمانه في العلوم وأحفظ أهل عصره. وهو أول من نشر الحديث في دار العلم شيراز المحروسة. قال الشيخ سليمان الماحوزي في الفصل الذي ألحقه بالبلغة في ذكر علماء البحرين: السيد العلامة الفهامة ــ إلى أن قال: ــ تلمذ عليه أعيان العلماء مثل مولانا العلاّمة محمد محسن الكاشاني صاحب الوافي. راجع ترجمته أمل الآمل ص ٤٩٣، سلافة العصر ص ٥٠٠، خلاصة الاثر ج ٣ ص ٣٠٧ للمولى محمد المحبي، مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٤٢٠.

٣) راجع لؤلؤة البحرين ص ١٣٢.

٤) المستدرك ج ٣ ص ٤٢٠.

عليه وتسطير الكلم في إطرائه.

قال المحدّث المتبحّر الشيخ الحرّ العامليّ: محمّد بن المرتضى المدعو بمحسن الكاشاني كان فاضلاً، عالماً، ماهراً، حكيماً، متكلّماً، محدّثاً، فقيهاً، محقّقاً، شاعراً، أديباً، حسن التصنيف، من المعاصرين، له كتب ــ ثمّ عدّ بعضاً من كتبه ثمّ قال: ــ قد ذكره السيّد عليّ بن ميرزا أحمد في السلافة وأثنى عليه ثناءً بليغاً.[5]

وقال الرجاليُّ الكبير محمّد بن عليّ الأردبيلي: محسن بن المرتضى ــ رحمه الله ــ العلاّمة المحقّق المدقّق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، فاضل كامل، أديب متبحّر في جميع العلوم.[6]

وقال السيّد نعمة الله الجزائريّ الشوشتري: كان أُستاذنا المحقّق المولى محمّد محسن القاشاني صاحب الوافي وغيره ممّا يقرب مائتي كتاب و رسالة.[7]

وقال الشيخ يوسف البحراني: المحدّث القاشاني، كان فاضلاً، محدّثاً، أخبارياً صلباً.[8]

وقال السيّد محمّد شفيع الحسيني في الروضة البهيّة في ترجمته: إنّه صرف عمره الشريف في ترويج الآثار المرويّة، والعلوم الإلهيّة، وكلماته في كلّ باب في غاية التهذيب والمتانة وله مصنّفات كثيرة.

وأثنى عليه صاحب الروضات بقوله: أمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والأُصول وكثرة التأليف، مع جودة التعبير والترصيف، أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد.[9]

وقال المحدّث النوريّ: من مشايخ العلاّمة المجلسي العالم الفاضل المتبحّر المحدّث العارف الحكيم المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني.[10]

٥) أمل الآمل ص ٥٠٧ من طبعه الملحق بمنهج المقال.

٦) جامع الرواة ج ٢ ص ٤٢.

٧) كذا في زهر الربيع ص ١٦٤ طبع طهران حسبما رقناه.

٨) لؤلؤة البحرين ص ١٣٣.

٩) الروضات ص ٥١٦.

١٠) خاتمة المستدرك ص ٤٢٠.

وقال المحدّث القمّيّ بعد عنوانه نحواً ممّا مرَّ: أمره في الفضل والأدب، وطول الباع و كثرة الاطّلاع، وجودة التعبير، وحسن التحرير، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول، أشهر من أن يخفى.[١١]

وقال العلاّمة الأميني في الغدير ج ١١ ص ٣٦٢ في ترجمة علم الهدى ابن المؤلّف: هوابن المحقّق الفيض علم الفقه، وراية الحديث، و منار الفلسفة، و معدن العرفان، وطود الأخلاق، و عباب العلوم والمعارف، هو ابن ذلك الفذِّ الّذي قلَّ ما أنتج شكل الدّهر بمثيله، و عقمت الأيّام عن أن تأتي بمشبهه.

و أورده البحّاثة، الأُستاذ «مرتضى المدرّسي چهاردهي» المدرس في دارالمعلّمين العالية بجامعة طهران في كتابه المسمّى بطبقات المفسّرين وأطراه وعظّمه وبجّله بكلام يعجبني ذكره قال:

كان الفيض ــ رحمه الله ــ من كبار علماء الإماميّة الّذين كانت لهم عناية بالغة بالقرآن والحديث، له مسلك خاصّ في التفسير جمع بين الطريقة والشريعة.

ألف في الحقائق القرآنيّة الّتي أُسّست على أُصول الفطرة، والحكمة العالية الّتي تنطبق على نواميس الطبيعة، والعرفان الصحيح الّذي يلائم الفطرة والعقل، تفسيريه: الصافي، والأصفى.

ونقل في كتابه «المحجّة البيضاء» الّذي ألّفه في تهذيب إحياء العلوم، أخباراً كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السّلام في علم الأخلاق و علم النفس و أدبها، بوجه رائق؛ والحقُّ أنّه تفسير للقرآن وشرح لأحاديث الإماميّة. وهويبحث في هذا الكتاب بحثاً تحليليّاً عن عقائد الغزّالي و آرائه ثمّ يشرع في نقدها وتهذيبها معتمداً في كلّ ذلك على الكتاب والسنّة.

واستشهد في آرائه في جميع تآليفه بالقرآن والحديث الصادر عن أهل بيت الوحي.

وإذا قسنابينه وبين أبي حامد في فهم آيات الكتاب الحكيم والأخبار الصادرة عن منبع الوحي، نرى تقدُّمه الباهر على الغزّالي مع ما كان له من الشهرة العالميّة واشتهار الفيض في جامعة الشيعة فحسب.

ولو أنَّ الدعايات المبثوثة حول الغزّالي في العالم بثّت حول الفيض، لظهر

١١) الكنى والانقاب.

عبقريّته، وعلم المحقّقون من أعلام الغرب مبلغ عظمته العلميّة، وتوجّهوا نحو آرائه القيّمة وعقائده الحقّة في علم التفسير والحديث من ناحية الأخلاق وعلم النفس وأدبها. انتهى.

مشائخه و الراوون عنه

روى عن جمع من الفطاحل وجماعة من الأعلام منهم:

١ــ الشيخ البهائي محمّدبن الحسين‌بن عبدالصّمد العاملي.

٢ــ المولى محمّد طاهربن محمّد حسين الشيرازيّ ثمّ النجفي ثمّ القمّيّ.

٣ــ المولى خليل الغازي القزويني شارح الكافي.

٤ــ الشيخ محمّدبن الشيخ الحسن‌بن الشهيد الثاني.

٥ــ المولى محمّد صالح شارح الكافي.

٦ــ السيّد الجليل النبيل السيّد ماجدبن السيّد هاشم الحسينيّ البحراني.

٧ــ الحكيم المتألّه الفاضل محمّدبن إبراهيم الشيرازي الشهير بمولى صدرا.

٨ــ أبوه الشاه مرتضى بن الشاه محمود.

ويروي عنه جماعة من الأعاظم مهم:

١ــ العلاّمة المجلسي ــ محمّد باقربن محمّدتقي صاحب بحارالأنوار.

٢ــ السيّد نعمة الله الجزائريّ الشوشتري.

٣ــ القاضي سعيد القمّيّ.

٤ــ ولده الزكيّ المعروف بعلم الهدى.

٢ــ تصانيفه [١٢]

التفسير

١ــ الصافي (١٠٧٥).

١٢) كتبنا هذا الفهرس ــ حسب المواضيع مع ذكر سنة التأليف ــ مقتبساً عمّا يلي من المصادر:

أ ــ مقدمة كتاب المحجة البيضاء، طبع مكتبة الصدوق (في ٨ مجلد).

ب ــ الفهارس الثلاثة لتصانيفه مع إضافات للسيد محمد المشكوة، طبع في مقدمة المجلّد الثاني من المحجة البيضاء طبع مكتبة الاسلامية (في ٤ مجلّد).

ج ــ ريحانة الادب ج ٤ ص٣٧٨ــ ٣٧٤. وفيه تحقيق حول بعض الكتب المنسوبة إليه.

٢ــ الأصفى ــ المنتخب من الصافي (١٠٧٧).

٣ــ تنوير المذاهب ــ تعليقات على تفسير القرآن للكاشي السبزواري.

٤ــ المصفّى.

٥ــ رسالة في تفسير آية الأمانة.

الحديث:

١ــ الوافي ــ في ترتيب الأحاديث المذكورة في الكتب الأربعة (١٠٦٨).

٢ــ الشافي ــ المنتخب من الوافي (١٠٨٢).

٣ــ النوادر ــ في جمع الأحاديث الغير المذكورة في الكتب الاربعة.

العقائد:

١ــ علم اليقين في اصول الدين (١٠٤٢).

٢ــ المعارف، ملخّص من كتاب علم اليقين (١٠٣٦).

٣ــ عين اليقين في أُصول الدين (قريب ١٠٣٦).

٤ــ أُصول المعارف، ملخّص مهمّات عين اليقين (١٠٨٩).

٥ــ قرّة العيون ــ في معنا «اصول المعارف» بسياقة أُخرىٰ وطريقة أسنى (١٠٨٨).

٦ــ أنوار الحكمة ــ ملخّص من كتاب علم اليقين، مع فوائد حكميّة اختصّت به (١٠٤٣).

٧ــ ترجمة العقائد ــ بالفارسية (١٠٤٣).

٨ــ أُصول العقائد (١٠٣٦).

٩ــ منهاج النجاة (١٠٤٢).

١٠ــ السانح الغيبي ــ في تحقيق معنى الايمان والكفر ومراتبها.

١١ــ الكلمات الطريفة ــ في ذكر منشأ اختلاف آراء الأمّة المرحومة ــ في مائة كلمة (١٠٦٠).

١٢ــ الإنصاف (١٠٨٣)

١٣ــ هدية الاشراف في تلخيص الانصاف.

١٤ــ رسالة في الجبر والاختيار.

١٥ــ التذَكرة في الحكمة الالهية.

التوحيد:

١ــ الكلمات المضنونة في بيان التوحيد (١٠٩٠).

٢ــ اللباب ــ في كيفية علم الله سبحانه بالأشياء.

٣ــ اللّب ــ في معنى حدوث العالم.

٤ــ رسالة في جواب من سأل عن كيفيّة علم الله سبحانه قبل الإيجاد.

المعاد:

١ــ ميزان القيامة ــ في كيفية ميزان يوم القيامة (١٠٤٠).

٢ــ مرآة الآخرة ــ في حقيقة الجنّة والنار (١٠٤٤).

الإمامة والولاية:

١ــ بشارة الشيعة ــ في أنّ الشّيعة هم الفرقة النّاجية المبشّر لهم بالجنة (١٠٨١).

٢ــ الأربعين في مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام.

٣ــ ثناء المعصومين عليهم السّلام ــ يشبه التحيّة المنسوبة إلى العلامة الطّوسي، إلاّ أنّه أبسط منه وأوفى.

٤ــ رسالة في جواب من سأل عن البرهان على حقيقة مذهب الإمامية من أهل مولطان.

الدعاء:

١ــ شرح الصحيفة السّجادية ــ مختصر.

٢ــ ذريعة الضّراعة ــ في الأدعية المأثورة المتضمنّة للمناجاة (قريب ١٠٥٠).

٣ــ مختصر الأوراد وسمّي ايضاً «منتخب الأوراد» مشتمل على الأذكار والدعوات المتكرّرة في اليوم والليلة والاسبوع والشهر والسّنة (١٠٦٧).

٤ــ خلاصة الاذكار (١٠٣٣).

٥ــ جلاء القلوب ــ وسمّي «جلاء العيون» أيضاً.

٦ــ أهمّ مايعمل ــ مهمّات ما ورد في الشريعة المطهرة من العمل.

٧ــ الاذكار المهمّة ــ مختصر من «خلاصة الاذكار» بالفارسية.

٨ــ أذكار الطهارة.

٩ــ الرفع والدفع ــ في رفع الآفات ودفع البليات بالقرآن والدعاء والعوذ والرقى والدواء ــ فارسي.

١٠ــ الكلمات السريّة العليّة، المنتزعة من أدعيه الأئمّة المعصومين عليهم السّلام (١٠٨٨).

١١ــ لبّ الحسنات.

١٢ــ زاد العقبى ــ وهما مشتملان على خلاصة ما في «منتخب الاوراد».

١٣ــ أعمال الأشهر الثلاثة.

الفقه:

١ــ معتصم الشيعة في أحكام الشريعة ــ قد خرج منه كتاب الصّلاة ومقدماتها (١٠٤٢).

٢ــ النخبة ــ مشتمل على خلاصة أبواب الفقه (قريب ١٠٥٠).

٣ــ الشهاب الثّاقب ــ في تحقيق عينيّة وجوب صلاة الجمعة في زمن غيبة الحجة المنتظر ــ عجل الله تعالى فرجه الشريف ــ (١٠٥٧).

٤ــ أبواب الجنان ــ مختصر في صلاة الجمعة بالفارسية (١٠٥٥).

٥ــ ترجمة الصّلاة ــ بالفارسية (١٠٤٣).

٦ــ مفاتيح الخير ــ في احكام الصّلاة بالفارسيّة.

٧ــ ترجمة الطّهارة ــ فى أحكام الطّهارة بالفارسية.

٨ــ ترجمة الزكاة ــ بالفارسية.

٩ــ ترجمة الصّيام ــ بالفارسيّة.

١٠ــ النخبة الصغرى.

١١ــ الضوابط الخمس ــ في أحكام الشكّ والسّهو والنّسيان في الصلاة.

١٢ــ جهاز الاموات ــ أُمّهات المسائل الشرعية المتعلقة بالجنائز.

١٣ــ رسالة في بيان أخذ الأُجرة على العبادات والشعائر الدينيّة.

١٤ــ رسالة في تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج.

١٥ــ مفاتيح الشرايع ــ من أهمّ كتب الفقهية المتداولة وكتب عليه شروح عديدة (١٠٤٢).

١٦ــ ترجمة الحجّ ــ بالفارسيّة.

١٧ــ زاد الحاجّ ــ بالفارسية، أخصر من «ترجمة الحج» (١٠٦٥).

١٨ــ تعليقات النخبة الصغرى.

اصول الفقه:

١ــ سفينة النجاة ــ في أنّ مأخذ الأحكام الشرعية ليس إلاّ محكمات الكتاب والسنّة (١٠٥٨).

٢ــ الحقّ المبين في كيفيّة التفقّه في الدين (١٠٦٨).

٣ــ الأُصول الاصليّة (١٠٤٤).

٤ــ نقد الأُصول الفقهيّة ــ وهو أوّل تصنيف له.

٥ــ راه صواب ــ بالفارسية ــ سبب الاختلاف في المذاهب، و تحقيق معنى الاجماع (قريب ١٠٤٠).

٦ــ شرائط الايمان ــ منتخب من «راه صواب» (١٠٦٢).

٧ــ المحاكمة ــ محاكمة بين فاضلين من مجتهدي أصحابنا في معنى التفقّه في الدين.

الاخلاق:

١ــ المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء (١٠٤٦).

٢ــ الحقائق في أسرار الدين، ملخّص كتاب المحجّة (١٠٩٠).

٣ــ تسهيل السبيل إلى الحجّة في انتخاب «كشف المحجة» للسيّد ابن طاووس (١٠٤٠).

٤ــ الخطب ــ يشتمل على مائة خطبة ونيف لجمعات السنة والعيدين. (١٠٦٧).

٥ــ ترجمة الشريعة ــ في فائدة الشريعة وكيفية سلوكها.

٦ــ زاد السالك.

٧ــ رفع الفتنة ــ بيان حقيقة العلم و العلماء.
٨ــ الفت نامه ــ في ترغيب المؤمنين إلى الأنس و الاتحاد ــ فارسية.
٩ــ التطهير.
١٠ــ ضياء القلب (١٠٥٧).
١١ــ آئينة شاهى ــ منتخب من ضياء القلب فارسى (١٠٦٦).

التراجم:

١ــ شرح الصدر ــ في أحوالات نفسه (١٠٦٥).
٢ــ فهرس المصنّفات الأوّل ــ يشتمل على ثمانين كتب، كتبه و هوابن ٦٢ سنة (١٠٦٩).
٤و٣ــ فهرست المصنّفات الثاني والثالث ــ كتبهما وقدبقي من مدّة عمره سنة واحدة، و كان عدد تأليفاته حينئذ ١١٦ كتب (١٠٩٠).
٥ــ الاعتذار ــ جواب مكتوب بعض الإخوان.

المنتزعات:

١ــ المنتزع من رسائل إخوان الصّفا.
٢ــ المنتزع من المكاتيب لقطب بن محيى.
٣ــ المنتزع من المثنوي للمولوي الرومي ــ المسمّى بسراج السالكين.
٤ــ المنتزع من غزليّاته.
٥ــ منتخب بعض أبواب الفتوحات المكيّة لمحيي الدين ابن العربي.

الأدب:

١ــ مثنوى سلسبيل.
٢ــ شراب طهور.
٣ــ تسنيم.
٤ــ ندبة العارف
٥ــ ندبة المستغيث.
٦ــ تنفيس الهموم.

٧ــ وسيلة الابتهال.

٨ــ آب زلال.

٩ــ آداب الضيافة.

١٠ــ قصائد دهر آشوب.

١١ــ گلزار قدس.

١٢ــ شوق المهدي عليه السّلام.

١٣ــ شوق الجمال.

سائر العلوم:

١ــ تشريح العالم ــ في بيان هيئة العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيّته، وحركات الأفلاك والعناصر، وانواع البسائط والمركبات.

٢ــ وصف الخيل، وذكر ماورد من اتّخاذ الخيل و معرفتها وعلاماتها من الأئمة المعصومين عليهم السّلام ــ فارسي (١٠٦٧).

٣ــ غنية الانام في معرفة الساعات والأيّام ــ على ما يستفاد من أحاديث أهل البيت عليهم السّلام.

٤ــ معيار الساعات ــ وهو قريب من «غنية الانام» إلاّ أنّه فارسي.

٥ــ الأحجار الشداد والسيوف، في نفي الجواهر الافراد.

٦ــ فهرست العلوم.

٧ــ أجوبة المسائل.

٨ــ الكلمات المكنونة (١٠٥٧).

٩ــ الكلمات المخزونة ــ المنتزعة من «الكلمات المكنونة» (١٠٨٩).

١٠ــ اللئالي ــ من ملتقطات «الكلمات المكنونة».

١١ــ المشواق.

١٢ــ تقويم المحسنين ــ في معرفة الساعات والشهور والسنين.

١٣ــ حاشية على الرواشح السماوية لميرمحمد باقر الداماد.

٣ــ حول هذا الكتاب

«منهاج النجاة» من آثار فيض القاشاني الثمينة، وهو في مقصدين وخاتمة:

١ــ المقصد الاول في الاعتقادات (التوحيد، العدل، النبوة، الامامة، المعاد).

٢ــ المقصد الثاني في الاعمال (طاعات الجوارح، معاصي الجوارح، طاعات القلب، معاصي القلب، آداب الصحبة والمعاشرة).

٣ــ الخاتمة.

يورد المؤلف العظيم في هذه الرسالة مجملا للعقائد، والادعية والاذكار، والمعاصي وتجنبها، و آداب المعاشرة والمصاحبة.

طبعت هذه الرسالة اول مرة سنة ١٣١١ هـ.ق على الحجر، ضمن رسائل اخرى مثل: ضياء القلب، بشارة الشيعة، خلاصة الاذكار، الانصاف، مرآة الآخرة .

وطبعت الرسالة المذكورة مرة اخرى سنة ١٩٧٩ م بتحقيق «غالب حسن» في مطبعة الحوادث ببغداد.[١٣]

وفي هذه الطبعة الجديدة روجعت الطبعتان واستعين بمصادر الاحاديث لتصحيح اغلاط الكتاب المطبعية وما وقع سهواً، هذا بالاضافة الى وضع العلامات الطباعية لتسهيل مطالعته.

وينبغي الإشارة إلى أنّ المؤلّف فصّل أبواب الكتاب ووضع لشروع كلّ فصل عبارة «هداية» ولكن في طبع بغداد حذفت هذه العبارة ووضعت مكانه عبارة مبيّنة لموضوع الفصل، وأُضيفت أحياناً عناوين فرعيّة لبعض الفصول. و أمّا في هذه الطبعة رأينا الأصحّ أن نبقي عبارة «هداية» على مكانه ونضع العبارة الموجودة في طبع بغداد بعدها مع أدنى تغيير و إصلاح في بعضها لإيجاد المناسبة بين العبارتين.

نسأل الله ان يجعل من نشر هذا الكتاب ذخيرة اخروية للمصحّح وللناشر، كما نرجوان يكون في نشره فائدة للقراء الكرام. والحمدلله اولاً وآخراً.

قسم الدراسات الاسلامية
في مؤسسة البعثة

١٣) صدرت مؤخراً ترجمة هذا الكتاب بالفارسية، من (انتشارات پيام آزادي ــ طهران). المترجم: رضا رجب زاده.

أبي عبدالله الأنصاري

مقدّمة المصنّف (ره)

الحمد للّه الّذي هدانا للدين القويم والنهج المستقيم، والصلاة على من بعثه بالملّة البيضاء والحنيفيّة السهلة السمحاء وعلى آله هداة الناس والمطهّرين من الأرجاس.

و بعد، فيقول خادم العلوم الدينيّة وراصد الحقائق الشرعيّة، محمّد بن المرتضى المدعو بمحسن ـ أحسن اللّه حاله، وجعل الى الرفيق الأعلى مآله ـ: هذا كتاب منهاج النجاة، بيّنت فيه العلم الّذي تتوقّف عليه النجاة في الآخرة، وطلبه فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، كما ورد في السنّة الطاهرة، وأشرت الى بعض مايوجب الفوز بالدرجات الفاخرة؛ كتبته لالتماس بعض الاخوان ــ نفعه اللّه به وساير المؤمنين ــ .

الايمان والتقوى :

اعلم أنّ خير هاد الى اللّه عزّ وجلّ نبيّنا محمد ــ صلّى اللّه عليه وآله ــ ثمّ من بعده: «متروكاه وخليفتاه الثقلان كتاب اللّه عزّ وجلّ وعترته أهل بيته، وانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه حوضه، فمن تمسّك بهما لن يضلّ ولن يزلّ، ومن طلب الهدى من غيرهما يضلّ و يزلّ، ومن جعلهما أمامه قاداه الى الجنّة، ومن جعلهما خلفه ساقاه الى النّار»[1].

١) حديث مشهور بين الفريقين نقله الأعلام، راجع كتاب عبقات الأنوار، مجلد حديث الثقلين؛ والبحار، ج ٢٣، باب فضائل اهل البيت ــ عليهم السلام ــ .

وأنَّ المستفاد منها أنّ النجاة في العقبى موقوفة على الايمان والتقوى، وكلّ من الخصلتين مرتبطة بالأخرى، معتضدة بها، والايمان أشرفهما وأعظمهما وأقدمهما رتبة؛ لكن لاعاقبة إلا للتقوى ولا هدى إلا للمتّقين. والايمان عبارة عن الاعتقاد بالأركان الخمسة الّتي هي: التوحيد، والعدل، والنبوّة، والامامة، والمعاد. والتقوى عبارة عن امتثال أوامر اللّه تعالى، واجتناب نواهيه. ولها ظاهر، وهو تقوى الجوارح بفعل الطاعات الظاهرة، والكفّ عن المعاصي الواضحة الفاضحة؛ و باطن، وهو تقوى القلوب بالتخلّي عن مساوئ الأخلاق والتحلّي بمكارمها.

فالايمان علم واعتقاد، والتقوى عمل وسداد، فهنا مقصدان وفي كلّ منها أبواب؛ و باللّه التوفيق.

المقصد الاوّل

في الاعتقادات

١ ــ باب التوحيد

٢ ــ باب العدل

٣ ــ باب النبوة

٤ ــ باب الامامة

٥ ــ باب المعاد



[١]
باب التوحيد

هداية في الدليل على وجود الله:

سئل مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ: «بماذا عرفت ربّك ؟!» قال ــ عليه السلام ــ: **«بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي، علمت أنّ المدبّر غيري.»**[١]

ومثله عن مولانا الصادق ــ عليه السلام ــ.[٢]

وقيل لمولانا أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا ــ عليه السلام ــ: «ما الدليل على حدوث العالَم؟» قال ــ عليه السلام ــ:

«انّك لم تكن،ثم كنت، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك.»[٣]

وفي القرآن المجيد: **«أفي الله شك فاطر السماوات والأرض؟»**[٤]

وما أحسن ما قال أعرابي: «البعرة تدلّ على البعير، وأثر الأقدام على المسير،فالسماء ذات أبراج والأرض ذات فجاج؛ أما تدلّان على الصانع اللطيف الخبير؟»[٥]

١) التوحيد، باب أنّه عزّوجلّ لايعرف إلّابه، ص ٢٨٨، ح ٦؛ والخصال، باب الاثنين، ح ١، بأدنى تفاوت فيهما؛ والبحار، ج ٣، باب إثبات الصانع، ص ٤٢، ح ١٧، نقلاً عنهما.

٢) التوحيد، باب أنّه عزّوجلّ لايعرف إلّابه، ص ٢٨٩، ح ٨؛ والبحار، ج ٣، باب إثبات الصانع، ص ٤٩، ح ٢١، نقلاًعنه.

٣) التوحيد، باب إثبات حدوث العالم، ص ٢٩٣، ح ٣؛ وفي العيون والآمالي؛ كما في البحار، ج ٣، ص ٣٦، ح ١١، نقلاً عنها.

٤) إبراهيم / ١٠.

٥) مثل مشهور و ينسب بعضهم إلى أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ فراجع تفسير الكبير، ج ١، ص ٣١٩.

وسئل مولانا الصادق ــ عليه السلام ــ عن الله فقال للسائل: هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: بلى، قال ــ عليه السلام ــ: هل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تغنيك؟ قال: بلى، قال ــ عليه السلام ــ: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟قال: بلى، قال الصادق ــ عليه السلام ــ: فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لامنجي، وعلى الاغاثة حين لامغيث.» [6]

هدايةفي الدليل على وحدانيّة اللّه:

وهو اللّه سبحانه واحد لاشريك له؛ اذ لو كان معه إله« **اذاً لذهب كلّ اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحان اللّه عمّا يصفون.»** [7]

كذا قال اللّه عزّ وجلّ، يعني: لو تعدّد لتميّز صنع بعضهم عن بعض، فيستبد كلّ واحد بملكه، ووقع بينهم التحارب والتغالب، كما هو حال ملوك الدنيا.

وسئل مولانا الصادق ــ عليه السلام ــ:« ماالدليل على أنّ الله تبارك وتعالى واحد؟» قال: «**اتّصال التدبير وتمام الصنع؛ كما قال عزّوجلّ: لو كان فيهما آلهة إلا الله، لفسدتا.»** [8]

أراد ــ عليه السلام ــ بذلك أنّه لو تعدّد لم يرتبط الموجودات بعضها ببعض، ولم ينتفع بعضها من بعض، بل اختل النظام، وفسدت السموات والأرضون.

وقال أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ في وصاياه لابنه الحسن ــ عليه السلام ــ: «**واعلم يابنّي! أنّه لو كان لربّك شريك، لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته؛ ولكنّه اله واحد، كما وصف نفسه، لايضادّه في ملكه أحد، ولايزول أبداً.»** [9]

٦) معاني الأخبار، ص ٤؛ والبحار، ج ٣، ص ٤١، ح ١٦، نقلاًعنه.
٧) المؤمنون / ٩١.
٨) الأنبياء / ٢٢، والخبر في التوحيد، ص ٢٥٠، ح ٢؛ والبحار، ج ٣، ص ٢٢٩، ح ١٩، نقلاً عنه.
٩) نهج البلاغة، ر٣١، ص ٣٩٦.

وفي القرآن المجيد: «**انّما الهكم اله واحد، لا اله إلا هو.**»[١٠]

وقال اللّه تعالى: «**لا تتّخذوا الهين اثنين انّما هو اله واحد، فايّاي فارهبون.**»[١١]

«**قل: لو كان معه آلهة كما يقولون، اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً* سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.**»[١٢]

هداية في صفاته تعالى:

وهو اللّه تعالى أحد لايتجزأ، كيف لا؟ ولو تجزّأ لكان محتاجاً، فانّ كلّ ذي جزء فانّما هو بجزئه يتقوّم، و بتحققه يتحقق، واليه يفتقر، وهو اللّه عزّ وجلّ غني عن العالمين. وأيضاً لو كان ذا جزء، لكان جزؤه متقدّماً عليه، فيكون الجزء أولى بأن يكون الهاً منه؛ تعالى عن ذلك.

هداية:

وهو اللّه عزّوجلّ فرد لاندّ له ولانظير، صمد لاشبه له ولاوزير «**ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير**»[١٣]؛ لأنّ المساواة في الرتبة نقصان في الكمال، والاستعانة بالغير مع استلزامها العجز معرضة للزوال، وبهذا يتبين أنّ له سبحانه سائر صفات الكمال من دون استفادة ولا آلة ولا كلال[١٤]: لأنّ النقص والعجز والفاقة لايليق بالربّ المتعال.

هداية:

فهو سبحانه سميع بغير أصمخة وآذان، بصير لا بحدقة وأجفان؛ كما يفعل بغير جارحة، و يتكلّم بغير لسان. لايحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلام، ولايعزب عن علمه مسموع وان خفي، ولامبصر وان دقّ، فيسمع السرّ والنجوى،

١٠) البقرة / ١٦٣.

١١) النحل / ٥١.

١٢) الاسراء / ٤٢ ــ ٤٣.

١٣) الشورى / ١١.

١٤) أي: «مالم يكن والد ولا ولد». راجع معاني الأخبار، باب معنى الكلالة، ص ٢٧٢.

و يشاهد ما تحت الثرى، و يعلم حركة الذرّ في جوّ الهواء، ودبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء، بل ما هو أدقّ من ذلك وأخفى، ولايعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء: «يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها.» [١٥] «و يعلم ما في البّر والبحر، وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها.» [١٦] «وما تخرج من ثمرات من اكمامها، وما تحمل من أنثى، ولا تضع إلا بعلمه.» [١٧] «يعلم ما تحمل كلّ أنثى، وما تغيض الأرحام، وما تزداد، وكلّ شيء عنده بمقدار* عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال* سواء منكم مّن أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنّهار.» [١٨] يطّلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر، لايجرى في الملك والملكوت شيء إلا وعنده خبره:

«يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم.» [١٩]

«ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.» [٢٠]

«ما يكون من نّجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم، ولاخمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم.» [٢١] «وهو معكم اينما كنتم.» [٢٢]

قال عزّوجلّ: «واذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب.» [٢٣] «ونحنُ أقرب اليه من حبل الوريد.» [٢٤] «ألا إنّهم في مرية من لقاء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط.» [٢٥]

وفي الحديث «ولو أنكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله.» [٢٦]

١٥) الحديد / ٤.
١٦) الأنعام / ٥٩.
١٧) فصّلت / ٤٧.
١٨) الرعد / ٨ ــ ١٠.
١٩) البقرة/٢٥٥؛وطه / ١١٠؛ والأنبياء / ٢٨؛ والحج / ٧٦.
٢٠) الملك / ١٤.
٢١) المجادلة / ٧.
٢٢) الحديد/٤.
٢٣) البقرة / ١٨٦.
٢٤) ق / ١٦.
٢٥) فصّلت / ٥٤.
٢٦) سنن الترمذي، ج ٤، كتاب التفسير، سورة الحديد، ص ١٩٣؛ والدّر المنثور، ج ٦، سورة الحديد، ص ١٧٠

وفي القرآن: «فأينما تولّوا فثَم وجه اللّه، انّ اللّه واسع عليم.»[٢٧]

هداية:

وهو جل ذكره فعّال لما يشاء كيف يشاء، قدير على مايشاء، مدبر للكائنات، مدبرّ للحادثات. فلا يجري في الملك والملكوت، قليل ولا كثير، صغير أو كبير، إلا بقضائه وقدره ومشيّته، فما شاء اللّه كان، ومالم يشأ لم يكن، وهو المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد؛ لاارادّ لحكمه، ولامعقّب لقضائه، ولاحول عن معصيته إلا بتوفيقه، ولا قوّة على طاعته إلا بمعونته وارادته «وما تشاؤن إلا أن يشاء اللّه» [٢٨]

هداية:

وهو عزّ اسمه قديم لم يزل، و باق لايزال، وحيّ لايموت، وقيّوم لايفوته شيء؛ «لا تأخذه سنة ولانوم.»[٢٩] «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.»[٣٠]

لا تبلغه العقول والأفكار، ولا تدركه البصائر والأبصار، تنزّه ذاته عن الأمكنة والجهات، وتقدّس وجوده عن الأزمنة والحركات، وتعالى عن الاتّحاد والحلول، وتبارك عن التغيّر والافول. سرمدي ليس له مضادّ، وحقّ بحت لايتطرّق اليه بطلان ولافساد. كذلك اللّه ربّنا، اذ من كان بخلاف ذلك، فهو امّا ناقص أو عاجز أو محتاج؛ سبحان اللّه عمّا يقولون، وتعالى شأنه عمّا يقولون.

٢٧) البقرة / ١١٥.
٢٨) الانسان / ٣٠.
٢٩) البقرة / ٢٥٥.
٣٠) الاخلاص / ٣ ــ ٤.

[٢]
باب العدل

هداية في أن الله سبحانه لايفعل القبيح:

إنَّ الله سبحانه لايفعل القبيح؛ لأنّه جلّ وعزّ عالم بقبحه، قادر على تركه، غير محتاج إلى فعله. كيف؟ ولو فعل القبيح لارتفع الوثوق بوعده ووعيده وأنبيائه ورسله، تعالى وتقدّس عن ذلك ،فما ربّك بظلاّم للعبيد، ولايرضى لعباده الكفر، ولن يخلف الله وعده، وكل ما يفعله فانّما يفعله لغرض وحكمة ومصلحة، وان كان جلّ اسمه غنياً عن العالمين.

هداية في أنّه لايحتجّ على العباد إلا بما عرّفهم:

وإذ لايفعل الظلم والقبيح، فما حجب علمه عن العباد، فهو موضوع عنهم، ولايحتجّ عليهم إلا بما آتاهم وعرّفهم؛ كما قال جلّ وعزّ:

«وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً.» [١]

«لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرّسل.» [٢]

«فيقولوا: ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبع آياتك.» [٣]

«وما كان الله ليضلّ قوماً بعد اذ هداهم حتّى يتبيّن هم مايتقون.» [٤]

١) الاسراء / ١٥؛
٢)النساء/١٦٥.
٣) القصص / ٤٧.
٤) التوبة / ١١٥.

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: «يعني: حتى يعرّفهم مايرضيه ومايسخطه.» [٥]

وقال ـ عليه السلام ـ في قوله عزّوجلّ: «فألهمها فجورها وتقواها.» [٦]: «بيّن لها ما تأتي وما تترك.» [٧]

وفي قوله: «إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وامّا كفوراً.» [٨]: «وعرّفناه امّا آخذاً وامّا تاركاً.» [٩]

[وفي:]«وهديناه النجدين.» [١٠]:«نجد الخير والشرّ» [١١].

هداية: لاجبر ولا تفويض:

إنّ الله عزّ وجلّ أرحم بخلقه من أن يجبرهم على الذنوب، ثمّ يعذّبهم عليها؛ كما قال سبحانه: «ذلك بما قدّمت أيديكم، وأن الله ليس بظلاّم للعبيد.» [١٢] وهو جلّ جلاله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون؛ كما قال عزّ وجلّ: «وما تشاؤن إلاّ أن يشآء الله.» [١٣]

فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين؛ كما قاله مولانا الصادق ـ عليه السلام ـ، قال: «ومثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته، فلم ينته، فتركته، ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذّي أمرته بالمعصية.» [١٤]

وقال الرضا ـ عليه السلام ـ: «إنّ الله عزّ وجلّ لم يطع باكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، وهو المالك لما ملّكهم، والقادر على ماأقدرهم عليه؛ فان ائتمر العباد بطاعته، لم يكن الله عنها صادّاً ولامنها مانعاً، وإن ائتمروا بالمعصية، فشاء أن يحول بينهم وبين

٥، ٧، ٩، ١١) الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف ولزوم الحجة، ص ١٦٣؛ والتوحيد، باب التعريف والبيان والحجة والهداية، ص ٤١١؛ والبحار، ج ٥، باب الهداية والاضلال، ص ١٩٦.

٦) الشمس / ٨.

٨) الانسان / ٣.

١٠) البلد / ١٠.

١٢) آل عمران / ١٨٢.

١٣) التكوير / ٢٩.

١٤) الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٦٠، ح ١٣؛ والتوحيد باب نفي الجبر والتفويض، ص ٣٦٢، ح ٨؛ والبحار، ج ٥، باب نفي الجور عنه تعالى، ص ١٧، ح ٢٧، نقلاً عنه.

ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه، فليس هو الذّي أدخلهم فيه.» [١٥]

وقال الباقر ـ عليه السلام ـ: «في التوراة مكتوب مسطور: ياموسى! إنّي خلقتك واصطفيتك وقوّيتك وأمرتك بطاعتي، ونهيتك عن معصيتي، فان أطعتني أعنتك على طاعتي، وان عصيتني لم أعنك على معصيتي، ولي المنّة عليك في طاعتك،ولي الحجّة عليك في معصيتك لي.» [١٦]

وقال الصادق ـ عليه السّلام: إنّ الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أنّ الله عزّوجلّ أجبر الناس على المعاصي، فهذا قد ظلم الله في حكمه، فهو كافر؛ ورجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليهم، فهذا قد أوهن الله في سلطانه، فهو كافر؛ ورجل يقول: انّ الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم مالايطيقون، وإذا أحسن حمدالله، وإذا أساء استغفرالله، فهذا مسلم بالغ.» [١٧]

تنبيه:

الكلام في القدر منهيٌّ عنه وهو سرّ من أسرار الله؛ قال الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ الله عزّوجلّ إذا جمع العباد يوم القيامة، سألهم عمّا عهد إليهم، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم.» [١٨]

وسئل ـ عليه السلام ـ عن الرقيّ: «هل تدفع من القدر شيئاً؟» فقال: «هي من القدر.» [١٩]

هداية: يفعل الله بعباده الأصلح:

إنّ الله عزّ وجلّ لايفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم؛ لأنّه سبحانه

١٥) التوحيد، باب نفي الجبر والتفويض، ص ٣٦١، ح ٧؛ والعيون، ج ١، باب ١١، ص ١١٩، ح ٤٨؛ والبحار، ج ٥، باب نفي الجور عنه تعالى، ص ١٦، ح ٢٢، نقلاًعنهما.

١٦) الاعتقادات، الباب التاسع؛ والبحار، ج ٥، باب نفي الظلم والجور عنه تعالى، ص ٩، ح ١٢، نقلاًعنه؛ كما في التوحيد، باب الأمر والنهي والوعد والوعيد ص ٤٠٦، ح ٢ بأدنى تفاوت.

١٧) الخصال، باب الثلاثة، ح ٢٧١؛ والتوحيد، باب نفي الجبر و التفويض، ص ٣٦٠، ح ٥؛ والبحار، ج ٥، باب نفي الظلم والجور عنه تعالى، ص ٩، ح ١٤.

١٨) الاعتقادات، الباب السابع؛ والتوحيد، باب القضاء والقدر، ص ٣٦٥، ح ٢؛ والبحار، ج ٥، باب القضاء والقدر، ص ٩٧، ح ٢٢ و ص ١١٢، ح ٣٨، نقلاًعنهما.

١٩) التوحيد، باب القضاء والقدر، ص ٣٨٢، ح ٢٩؛ والبحار، ج ٥، باب القضاء والقدر، ص ٩٨، ح ٢٤، نقلاًعنه.

لطيف بعباده، رؤوف بهم، وهو العزيز الحكيم؛ قال الله تعالى: «**يريدُ الله بكم اليسر ولايريدُ بكم العسر**»[٢٠]

وفي الحديث القدسي: «**وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة، فأكفّه عنه لئلاّ يدخله عجب فيفسده؛ وانّ من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه إلا بالفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك؛ وانّ من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه إلا بالغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك؛ وانّ من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه إلا بالسقم، ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك ؛ و انّ من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه إلا بالصّحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك؛ واني أدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم، فاني عليم خبير.**»[٢١] وفيما أوحى الله عزّوجلّ إلى موسى ـ عليه السلام ـ: «**أن ياموسى! ماخلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، وإنّما أبتليه لما هو خير له، واعافيه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر عبدي، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي؛ أكتبه في الصدّيقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري.**»[٢٢]

هداية: لايكلّف الله نفساً إلاّ وسعها:

إنّ الله عزّوجل لم يكلّف عباده إلاّدون مايطيقون، كماقال: «**لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها**».[٢٣]

والوسع دون الطاقة، ألا ترى أنّه كلّفهم في كلّ يوم وليلة خمس صلوات، وكلّفهم في السنة صيام ثلاثين يوماً، وكلّفهم في كلّ مائتي درهم خمسة دراهم، وكلّفهم حجّة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك !؟ كذا قال مولانا الصادق ـ عليه السلام ـ.[٢٤]

٢٠) البقرة / ١٨٥

٢١) التوحيد، باب أنّ الله تعالى لايفعل بعباده إلاّ الأصلح، ص ٣٩٨، ح ١؛ والعلل، باب التاسع، ص ١٢، ح ٧؛ والبحار، ج ٧٠، باب حبّ الله تعالى، ص ١٦، ح ٨، نقلاًعنه.

٢٢) التوحيد، باب أنّ الله تعالى لايفعل بعباده إلاّ الأصلح، ص ٤٠٥، ح ١٣؛ كمافي البحار، ج ٦٧، باب شدّة إبتلاء المؤمن، ص ٢٣٥، ح ٥٢، بأدنى تفاوت.

٢٣) البقرة / ٢٨٦.

٢٤) المحاسن، ج ١، ص ٢٩٦، ح ٤٦٥.

هداية: كلّ يوم هو في شأن:

إنّ الله عزّ وجلّ لم يفرغ من الأمر، كما زعمته اليهود، بل هو كلّ يوم في شأن، يخلق و يرزق و يفعل مايشآء **«يمحو الله مايشآء و يثبت، وعنده أمّ الكتاب»**،[٢٥] ولايمحو إلا ماكان، ولايثبت إلا مالم يكن؛ و إلا لبطل الدّعاء والدّوآء والصدقة وغيرها، وليس له ندامة؛ تعالى الله عن ذلك.

قال الصادق ـ عليه السلام ـ **«مابعث الله نبيّاً قط حتى يأخذ عليه الاقرار بالعبودية، وخلع الأنداد، وأنّ عزّوجلّ يؤخر مايشآء و يقدّم ما يشآء.»**[٢٦]

وقال أيضاً: **«إنّ الله عزّ وجلّ لم يبد له من جهل.»**[٢٧]

وقال: **«مابدا للّه في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له.»**[٢٨]

وقال مولانا الباقر ـ عليه السلام ـ: **«العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علمه ملائكته ورسله؛ فما علمه ملائكته ورسله فانّه سيكون، لايكذّب نفسه ولاملائكته ولارسله، وعلم عنده مخزون يقدّم منه مايشآء، و يؤخر منه مايشآء، و يثبت مايشآء.»**[٢٩]

٢٥) الرعد / ٣٩.

٢٦) الكافي، ج ١، باب البداء، ص ١٤٧، ح ٣؛ والتوحيد، باب البداء، ص ٣٣٣، ح ٣؛ والبحار، ج ٤، باب البداء، ص ١٠٨، ح ٢١، نقلاً عنه.

٢٧) الكافي، ج ١، باب البداء، ح ١٠.

٢٨) نفس المصدر، ح ٩.

٢٩) نفس المصدر، ح ٦؛ وهكذا رواه البرقي (ره) في المحاسن، ج ١، ص ٢٤٣؛ ونقله المجلسي (رض) في البحار، ج ٤، باب البداء، ص ١١٣، ح ٣٦، عنه.

[٣]
باب النبوّة

هداية في الدليل على الأنبياء:

لـمّـا ثبت أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ماخلق، ولم يجز أن يشاهده خلقه ولايلامسوه، ثبت أنّ له سفرآء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، وهم وسائط بينه و بينهم، أسماع من جانب وألسنة إلى آخر؛ يأخذون من الله و يعطون الخلق، يتعلّمون من لدنه و يعلّمون الناس، و يدلّونهم من عنده إلى مصالحهم ومنافعهم، ومابه بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم. فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس في شيء من أحوالهم، وان شاركوه في الخلق والتركيب، لئلاّ يبعدوا عنهم كلّ البعد، بل يناسبونهم بعض المناسبة، و يأنسون بهم الانس؛ كما قال عزّوجلّ: **«ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلاً، وللبسنا عليه مايلبسون.»**[1]

هداية في الحاجة إلى الأنبياء مع المعجزة:

ولابد من تخصيصهم بآيات من الله سبحانه، دالّة على أنّ شريعتهم من عند ربّهم العالم القادر الغافر المنتقم؛ ليخضع النّاس لهم، و يلزم لمن وقف لها أن يقر بتقدّمهم ورياستهم، وهي «المعجزة».

١) الأنعام / ٩.

وكما لابدّ في العناية الالهية لنظام العالم من المطر ورحمة الله، لم يقصر من إرسال السمآء مدراراً لحاجة الخلق، فنظام العالم لايستغني عمّن يعرّفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة. نعم، من لم يهمل إنبات الشعر على الحاجبين للزّينة لا للضرورة، وكذا تقعير الأخمص في القدمين، كيف أهمل وجود رحمة للعالمين، مع ما في ذلك من النفع العاجل للسلامة في العقبى والخير الآجل؟ أم من لم يترك الجوارح والحواسّ حتّى جعل لها رئيساً يصحّح لها الصحيح و يتيقّن به ماشكّت فيه وهو الروح، كيف يترك الخلائق كلّهم في حيرتهم وشكّهم وضلالتهم، لايقيم لها هادياً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم؟ قال الله تعالى:

«ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط.» [٢]

وقال الله عزّ وجلّ: **«هو الذّي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيّهم، و يعلّمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين.»** [٣]

هداية في صفات النّبي:

يجب أن يكون النبي منزّهاً عن كلّ مايدنّسه و يشينه من الغلظة والفظاظة، وسوء الخلق والحسد والبخل، ودناءة الآباء وعهر الأمّهات، والأنوثة والخنوثة، والعمى والعرج، وما شابه ذلك.

العصمة:

وأن يكون معصوماً عن الذنوب، محفوظاً عن الكبائر والصغائر، عمداً وسهواً. كلّ ذلك لئلاّ يتنفّر عنه الطباع، بل تطيعه طوعاً ورغبة. وكيف يذنب النبي؟ وأصول الذنوب منحصرة في أربعة: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة.

ولايجوز أن يكون حريصاً على الدنيا وهى تحت خاتمه؛ لأنّه خازن

٢) الحديد / ٢٥.

٣) الجمعة / ٢.

المسلمين، فعلى ماذا يحرص؟

ولايجوز أن يكون حسوداً؛ لأنّ الانسان إنّما يحسد من فوقه، وليس فوقه أحد.

ولايجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا بأن يكون غضبه لله تعالى في إقامة الحدود ونحوها.

ولايجوز أن يتّبع الشهوات و يؤثر الدّنيا على الآخرة؛ لأنّ اللّه عزّ وجلّ حبّب إليه الآخرة، كما حبّب إليه الدّنيا، فهو ينظر إلى الآخرة، كما ينظر الى الدنيا؛ فهل رأيت أحداً يؤخر وجهاً حسناً لوجه قبيح، وطعاماً طيّباً لطعام مرّ، وثوباً ليّناً لثوب خشن، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟ كذا قال هشام بن الحكم من أصحابنا في عصمة الامام.[٤]

وكلّما ورد في القرآن والحديث من نسبة الذنوب إلى الأنبيآء والأوصياء - صلوات اللّه عليهم - فهو مؤوّل؛ كما ورد عن أهل البيت - عليهم السلام - في نصوص مستفيضة. وانّهم - عليهم السلام - لما كانوا مستغرقين في طاعة اللّه تعالى، فان اشتغلوا عن ذلك أحياناً ببعض المباحات زيادة على الضرورة، عدّ ذلك ذنباً في حقّهم - عليهم السلام -. هكذا ينبغي أن يعتقد في المصطفين الأخيار - سلام اللّه عليهم -.

هداية في منازل الأنبياء:

الأنبياء أفضل من الملائكة، ولهذا أمر اللّه الملائكة بالسجود لآدم - عليه السلام - ؛قال اللّه عزّ وجلّ: **«إنّ اللّه اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين.»**[٥]

وقال نبيّنا - صلى اللّه عليه وآله - لعلّي - عليه السلام -: **«ياعلي! إنّ اللّه تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين،**

٤) رواه الصدوق (ره) في المعاني، باب معنى عصمة الامام، ص ١٣٣؛ وفي الخصال والعلل والأمالي؛ كما في البحار، ج ٢٥، باب عصمتهم وعصمة الامام -عليه السلام-، ص ١٩٢، ح ١، نقلاً عنها.

٥) آل عمران / ٣٣.

والفضل بعدي لك ياعلي وللأئمّة من بعدك ، وانّ الملائكة لخدّامنا وخدام محبينا ـ الحديث.»[٦]

عدد الأنبيآء:

وعدد الأنبيآء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وعدد أوصيآئهم كذلك[٧]؛ إذ لكلّ نبي وصيّ أوصى إليه بأمر اللّه عزّ وجلّ وكلّهم جاءوا بالحقّ من عند الحق، فانّ قولهم قول الله عزّ وجلّ،وأمرهم أمر اللّه، وطاعتهم طاعة اللّه، ومعصيتهم معصية اللّه، وانّهم لم ينطقوا إلا عن اللّه ووحيه.

أولوا العزم:

وسادتهم خمسة، وهم الذّين عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرائع، وأولوا العزم: نوح و إبراهيم وموسى وعيسى، ومحمد نبيّنا ـ صلّى اللّه عليهم ـ؛ وهو سيدّهم وأفضلهم وخاتمهم، لانبي بعده، ولا تبديل لملّته، ولا تغيير لشريعته؛ كما قال اللّه عزّوجلّ: «ولكن رسول اللّه وخاتم النبييّن»[٧] «جاءبالحقّ وصدّق المرسلين.»[٨]

وانّ الذين كذّبوا به «لذائقوا العذاب الأليم»[٩]

وانّ «الذّين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذّي أنزل معه، أولئك هم الفائزون.»[١٠]

الأشياء لنبيّنا محمّد وآله عليهم السلام:

واللّه عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد وأوصيائه ـ عليهم السلام ـ،

٦) رواه الصدوق (قده) في إكمال الدين، ج ١، باب نصّ الله تعالى على القائم ـ عليه السلام ـ، ص ٢٥٤، ح ٤؛ وفي العلل والعيون؛ كما في البحار، ج ٢٦، باب فضل النبيّ وأهل بيته ـ صلوات الله عليهم ـ على الملائكة، ص ٣٣٥، ح ١، نقلاً عنها.

٧) الأحزاب / ٤٠.

٨) الصافّات / ٣٧.

٩) الصافّات / ٣٨.

١٠) الأعراف / ١٥٧.

وانّـهـم أحبّ الخلق إليه، وأكرمهم عليه، وأوّلهم إقراراً به؛ لمّا أخذ ميثاق النبيّين وأشـهدهم على أنفسهم: «ألست بربكم؟ قالوا: بلى»[١١]. وانّ الله بعثه إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في «الذّر»؛ كما قال عزّ وجلّ: «هذا نذير من النّذر الاولى.»[١٢] فسائر الأنـبـيـاء أمّـته، وانّما أعطى اللّه كلّ نبيّ ما أعطى على قدر معرفته بنبينا وسبقه إلى الاقرار به.

وإنّما خـلـق اللّه جميع ما خلق له ولأهل بيته ـ عليهم السلام ـ ولولاهم، لما خـلـق اللّـه الـسـماوات والأرض، ولا الجنّة ولا النّار، ولا آدم ولا حوّآء، ولا الملائكة ولاشيئاً ممّا خلق؛ صلوات اللّه عليهم.

هداية في انّ سيرة النبّي شاهد نبوّته:

لقد أحسن من[١٣] قال: انّ من شاهد أحوال نبيّنا محمّد ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ وأصـغـى إلى سـمـاع أخـبـاره الـدالّـة على أخـلاقه وأفعاله وأحواله وآدابه وعـاداتـه وسـجـايـاه وسـيـاسـته لأصناف الخلق، وهدايته إلى ضبطهم والتألّف بـيـنهـم، وقـوده إيّـاهـم إلى طاعـته، مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسـئـلـة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل مسائل الـشّـرع، الذّي يعجز الفقهآء والفضلآء عن إدراك دقائقها في طول أعمارهم، لم يـبـق لـه ريـب ولاشك في أنّ ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية؛ بـل لايـتـصـوّر ذلـك إلا بـالاستمداد من تأييد سماوي وقوّة الهيّة، وانّ ذلك كلّه لايـتـصـور لكذّاب ولاالملبّس، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه، حـتّى أنّ العربي القحّ كان يراه فيقول: واللّه ماهذا وجه كذّاب، فكان يشهد له بـالـصـدق بمـجـرد شـمـائله؛ فكيف بمن يشاهد أخلاقه ويمارس في جميع مصادره وموارده؟

وقـد آتـاه اللّـه جمـيـع ذلـك، وهـو لم يمارس العلم، ولم يطالع الكتب ولم

١١) الأعراف / ١٧٢.
١٢) النجم / ٥٦.
١٣) إحياء علوم الدين، ج ٢، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة، ص ٣٨٣.

يسافر قطّ في طلب العلم، ولم يزل بين أظهر الجهّال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً؛ فمن أين حصل له ما حصل من محاسن الأخلاق والآداب، ومعرفة مصالح الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم، فضلاً عن معرفته بالله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك من خواص النبوّة، لولا صريح الوحي؟ ومن أين لبشر الاستقلال لذلك؟ فلو لم يكن له إلا هذه الامور، لكان فيه كفاية.

وقد ظهر من معجزاته وآياته مالا يستريب فيه محصّل؛ كانشقاق القمر، ونبوع المآء من بين أصابعه، و إطعام الكثير من طعام قليل، وغير ذلك ممّا لايحصى كثرة.

ومنها القرآن العزيز، الباقي إلى آخر الدهر، الّذي تحدّى به بلغآء الخلق وفصحآء العرب. وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، إن شكّوا، وقال لهم: **«لئن اجتمعت الانس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لايأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.»** [١٤] وقال ذلك تعجيزاً لهم، فعجزوا عن ذلك، وصرفوا عنه حتّى عرضوا أنفسهم للقتل، ونساءهم وذراريهم للسبي، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه إلا أن قالوا: **«إن هذا إلا سحر يؤثر»** [١٥] و **«سحر مستمّر»** [١٦] ونحو ذلك.

أقول: وقد اشتمل القرآن على وجوه كثيرة من الاعجاز غير البلاغة، وقد ذكرناها في كتابنا المسمّى بـ «علم اليقين» [١٧] مع تفاصيل سائر المعجزات.

هداية في القرآن الكريم:

القرآن الكريم كلام الله ووحيه وقوله وكتابه؛ **«لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.»** [١٨] وانّه: **«القصص الحقّ»** [١٩] و **«إنّه لقول فصل،**

١٤) الاسراء / ٨٨.
١٥) المدثر / ٢٤.
١٦) القمر / ٢.
١٧) علم اليقين، ج ١، باب التاسع، ص ٤٨٣ ــ ٤٨٦.
١٨) فصّلت / ٤٢.
١٩) آل عمران / ٦٢.

وما هو بالهزل.» [٢٠]

وانّ الله تبارك وتعالى محدّثه ومنزله وربّه وحافظه وهو المهيمن على الكتب كلّها، وانّه حقّ من فاتحته إلى خاتمته؛ نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره؛ لايقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله.

هداية في أنّ كلّ ما جاء به النبّي حقّ:

انّ جميع ما جآء به نبيّنا محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ هو الحقّ المبين الذّي لامرية فيه، ومن أنكر شيئاً منه بعد إقراره بأنّه ممّا جآء به، فقد كفر.

في المعراج:

ومنه حكاية المعراج؛ كما ذكره اللّه عزّوجلّ بقوله: **«سبحان الذّي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذّي باركنا حوله، لنريه من آياتنا.»** [٢١]

وبقوله عزّ وجلّ: **«ثمّ دنى فتدلّى، فكان قاب قوسين أو أدنى ـ الايات.»** [٢٢]

وقد أخبر النبّي بعد رجوعه منه بما ظهر منه صدقه وحقيقته.

هداية في أنّ نبوّة نبيّنا عامّة للبشرية:

نبوّة نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عامّة لجميع النّاس؛ كما قال الله عزّ وجلّ: **«وما أرسلناك إلا كافّة للناس بشيراً ونذيراً»**، [٢٣] بل للجّن والانس؛ كما في قوله تعالى: **«أجيبوا داعي الله وآمنوا به»** [٢٤] حكاية عنهم.

وكما أنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ سيّد الأنبياء، فكذلك أوصياؤه خير الأوصياء، وكتابه خير الكتب، والمهيمن عليها كلّها، ودينه خير الأديان

٢٠) الطارق / ١٣ ـ ١٤.
٢١) الاسراء / ١.
٢٢) النجم / ٨ ـ ٩.
٢٣) سبأ / ٢٨.
٢٤) الأحقاف / ٣١.

ونـاسـخـهـا، وأمّـته خير الأمم وأوسطها؛ كما قال عزّ وجلّ: «كنتم خير أمّة أخرجت للنّـاس.» [٢٥] «وكـذلـك جعـلـنـا كـم أمّة وسطاً، لتكونوا شهدآء على الناس، و يكون الرّسول عليكم شهيداً» [٢٦].

٢٥) آل عمران / ١١٠.

٢٦) البقرة / ١٤٣.

[٤]
باب الامامة

هداية في الدليل على الأئمّة:

انّ ما ذكرناه في بيان الاضطرار الى النبيّ فهو بعينه جار في الاضطرار الى أوصيائهم وخلفائهم، الأئمّة من بعدهم الى ظهور نبيّ آخر؛ لأنّ الاحتياج اليهم غير مختصّ بوقت دون وقت آخر، وفي حالة دون اخرى، ولا يكفي بقآء الكتب والشرائع من دون قيّم لها، عالم بها. ألا ترى الى الفرق المختلفة كيف يستندون في مذاهبهم كلّها الى كتاب اللّه، لجهلهم[1] بمعانيه وزيغ قلوبهم وتشتّت أهوائهم؟ فظهر أنّه لابّد لكلّ نبيّ مرسل بكتاب من عند اللّه عزّ وجلّ، أن ينصب وصيّاً يودع فيه [يودعه] أسرار نبوته وأسرار الكتاب المنزل عليه، و يكشف له مبهمه؛ ليكون ذلك الوصي هو حجة ذلك النبيّ على قومه، ولئلاّ تتصرّف الأمّة في ذلك الكتاب بآرائها وعقولها، فتختلف وتزيغ قلوبها؛ كما أخبر اللّه عزّ وجلّ به، فقال : **«هو الذّي أنزل عليك الكتاب؛ منه آيات محكمات، هنّ أمّ الكتاب، وأخر متشابهات. فأمّا الذين في قلوبهم زيغ، فيتّبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا اللّه والراسخون في العلم.»**[2]

فالرسول والامام والكتاب هو الحجّة على الأمّة؛ **«ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة.»**[3]

١) خ. ل: «بجهلهم».
٢) آل عمران / ٧.
٣) الأنفال / ٤٢.

وجود الامام لطف:

وأيضاً وجود الامام لطف من اللّه تعالى لعبيده؛ اذ بوجوده يجتمع شملهم و يتّصل حبلهم، و ينتصف الضعيف من القوي والفقير من الغنيّ، و يرتدع[٤] الجاهل و يتيقّظ الغافل. قال اللّه تعالى: **«وإنْ من أمّة إلا خلا فيها نذير»**[٥] وقال عزّوجلّ: **«ولكلّ قومٍ هاد.»**[٦] وقال: **«و يوم نبعث في كلّ أمّة شهيداً عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيداً على هؤلاء.»**[٧]

وقال النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ: **«في كلّ خلف من أمّتي عدل من أهل بيتي ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين. وتأويل الجاهلين.»**[٨]

فإذا عدم الامام تعطّل أكثر أحكام الدين، فتنتفي الفائدة المقصودة منها.

وأمّا غيبة بعض الأئمة في بعض الأحيان، وعدم تمكّنه من اجراء الأحكام؛ فانّما ذلك من جهة الرعيّة دون الامام، فليس ذلك نقضاً على لطف اللّه تعالى. فانّما على اللّه تعالى ايجاد الامام للرعيّة ليجمع به شملهم، فان لم يمكنوه من فعله لعدم قابليّتهم وسوء استعدادهم، فما على اللّه من ذلك حجّة؛ **«فما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.»**[٩] مع أنّ ما في غيبته من الخيرات والحكم من تضاعيف مثوبات المؤمنين بها، المتصدّقين بوجود الامام في أعمالهم الصالحات مايسهل معها فوات اقامة الحدود ونحوها.

هداية في صفات الامام:

ويجب أن يكون الامام أفضل أهل زمانه وأقربهم الى الله عزّوجلّ، وأن

٤) خ. ل: «يرتجع».

٥) فاطر / ٢٤.

٦) الرعد / ٧.

٧) النحل / ٨٩.

٨) قرب الاسناد، ص ٣٧؛ والكافي، ج ١، ص ٣٢؛ والمعاني، باب معنى الصراط، ص ٣٥؛ و إكمال الدين، ج ١، باب أنّ الأرض لاتخلومن حجّة لله، ص ٢٢١، ح ٧؛ والبحار ج ٢٣، باب الاضطرار إلى الحجّة، ص ٣٠، ح ٤٦.

٩) الروم / ٩.

يجمع فيه خصال الخير المتفرّقة في غيره؛ مثل: العلم بكتاب الله وسنّة رسوله، والفقه في دين الله، والجهاد في سبيل الله، والرغبة فيما عند الله، والزهد فيما بيد خلق الله، الى غير ذلك من الخيرات.

عصمة الامام:

وأن يكون معصوماً من الزيغ والزلل والخطأ، في القول والعمل، منزّهاً من أن يحكم بالهوى أو يميل الى الدنيا لما ذكرناه في النبيّ بعينه. و بالجملة كلّ ما اشترط في النبيّ من الصفات، فهو شرط في الامام، ماخلا النبوّة؛ قال الصادق ـ عليه السلام ـ : **«كلّما كان لرسول الله، فلنا مثله، إلا النبوّة والأزواج.»** [١٠]

هداية في معرفة الامام بالنّص:

لايوصل الى معرفة هذه الخصال المحمودة والخلال المعدودة إلا بوحي من الله الى رسوله لامتناع الاطّلاع على البواطن؛ كما أوحى الى نبيّنا محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ في عليّ ـ عليه السلام ـ بآية: **«انّما وليّكم الله ورسوله...»** [١١] وآية **«بلّغ ما أنزل اليك من ربّك...»** [١٢] وغيرهما. فاذا ظهر الوحي، وجب على الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن ينصّ على من يخلفه بعد وفاته.

امّا قولاً كقول نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ: **«من كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه.»** [١٣] وقوله: **«معاشر أصحابي! انّ عليّ بن أبي طالب وصيّي وخليفتي عليكم** [١٤] **في حياتي وبعد موتي، وهو الصدّيق الأكبر والفاروق الذّي يفرّق بين الحقّ والباطل، وهو باب الله الذي يؤتى منه، وهو السبيل اليه والدليل عليه؛ من عرفه فقد عرفني، ومن أنكره فقد أنكرني، ومن تبعه فقد تبعني؛ سنّة جرت فيَّ من ابرهيم.»** [١٥]

١٠) البحار، ج ٢٦، باب تفضيلهم ـ عليهم السلام ـ على الأنبياء، ص ٣١٧، ح ٨٣.

١١) المائدة / ٥٥.

١٢) المائدة / ٦٧.

١٣) حديث مشهور متّفق بين الفريقين.

١٤) خ. ل: «فيكم».

١٥) لم نعثر له مأخذاً فيما بأيدينا، ولكن فقراتها موجودة في الروايات المتكثّرة في الأبواب المختلفة. فراجع البحار، ج ٣٧ و ٣٨، أبواب النصوص الدالة على الخصوص على إمامة أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ.

واما فعلاً كفعل نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعليّ ـ عليه السلام ـ أنّه ولاه سراياه وجيوشه، وسيّرهم تحت رايته، ولم يولّ عليه أحداً قطّ، ولم يكن كمن سار تحت راية «عمرو بن العاص» و«اسامة بن زيد» وغيرهما، وقد علم أصحابه أنّه كان أميراً في جيوشه غير مؤمّر[١٦] عليه.

وأيضاً لو لم ينصّ النبيّ على وصيّه، لأدّى ذلك الى التشعّب والتشاغب والاختلاف بين أصحابه. وكيف لايوصي النبّي بمثل هذا الأمر العظيم، وقد أمر هو عامّة الناس بالوصية فيما هو أهون من ذلك، وحثّهم عليها، وأكد لهم أمرها؟

هداية في الأئمة الا ثنا عشر:

قد تواتر لنا عن نبيّنا محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ أنَّ حجج الله تعالى على خلقه بعده ـ صلّى الله عليه وآله ـ الأئمة الا ثنا عشر: أولّهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ثمّ الحسن الزكيّ ـ عليه السلام ـ ثمّ الحسين الشهيد ـ عليه السلام ـ ثمّ عليّ بن الحسين، زين العابدين ـ عليه السلام ـ، ثمّ محمّد بن عليّ الباقر ـ عليه السلام ـ ثمّ جعفر بن محمّد الصادق ـ عليه السلام ـ ثمّ موسى بن جعفر الكاظم ـ عليه السلام ـ ثمّ عليّ بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ ثمّ محمّد بن عليّ الجواد ـ عليه السلام ـ ثمّ عليّ بن محمّد الهادي ـ عليه السلام ـ ثمّ الحسن بن عليّ الزكيّ ـ عليه السلام ـ ثمّ ابنه القائم ـ عجّل الله فرجه ـ سميّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وكنيّه صاحب زماننا وخليفة الله في أرضه في أواننا؛ صلوات الله عليهم جميعاً.

وقال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: **«اثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقهم من طينتي، فويل للمتكبّرين[١٧] عليهم من بعدي، القاطعين فيهم صلتي. ماهم؟ لاأنالهم اللّه شفاعتي.»**[١٨]

١٦) خ. ل: «مؤثر».

١٧) خ. ل: «المنكرين».

١٨) الاختصاص، ص ٢٠٤؛ كمافي الاكمال، ج ١، باب نصّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ على القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ، ص ٢٨١، ح ٣٣؛ والعيون، ج ١، ص ٥٣، ح ٣٢؛ والبحار، ج ٣٦، باب نصوص الرسول صلّى الله عليه وآله ـ على الأئمة ـ عليهم السلام ـ، ص ٢٤٣، ح ٥٢، نقلاًعنها.

وقال أيضاً: «بعدي اثنا عشر؛ أوّلهم أنت ياعلي وآخرهم القائم، الذّي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها.»[١٩]

وقد استفاض أمثال ذلك من الروايات في كتب العامّة أيضاً.

وقد نصّ كلّ منهم - صلوات الله عليهم - على [لاحقه بل] لاحقيه بالامامة والخلافة والعصمة، وأخبر أصحابه باسمه ونعته.

وقد ثبت طهارتهم وصدقهم جميعاً عند معتبري أهل الاسلام كافّة مع اختلافهم وافتراقهم الى فرق كثيرة، وهذا من أدلّ الدلائل على حجيّتهم دون غيرهم ممّن اختلف في فضله وحاله؛ مع أنّ ذلك معلوم أيضاً من التتبّع لآثارهم ومعارفهم بحيث لايبقى للشك فيه مجال.

قال شيخنا الصدوق أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه(ره): «ومن أوضح الدلائل على امامتهم: أنّ الله عزّوجلّ جعل آية النبيّ - صلّى الله عليه وآله - أنّه أتى بقصص الأنبيآء الماضين - عليهم السلام - وبكلّ علم توراة وانجيل وزبور من غير أن يعلم الكتابة ظاهراً أو لقي نصرانياً أو يهودياً، وكان ذلك أعظم آياته؛ وقتل الحسين بن علي - عليهما السلام - وخلّف عليّ بن الحسين - عليهما السلام - متقارب السنّ ، كانت سنّه أقلّ من عشرين سنة، ثمّ انقبض عن الناس، فلم يلق أحداً ولا كان يلقاه إلا خواصّ أصحابه، وكان في نهاية العبادة، ولم يخرج عنه من العلم إلا يسير لصعوبة الزمان وجور بني أميّة، ثمّ ظهر ابنه محمّد بن علي المسمّى بالباقر - عليه السلام - لفتقه العلم، فأتى من علوم الدين والكتاب والسنّة والسير والمغازي بأمر عظيم؛ وأتى جعفر بن محمّد الصادق - عليهما السلام - من بعده من ذلك بأكثر وأظهر، فلم يبق من فنون العلم إلا أتى فيه بأشياء كثيرة، وفسّر القرآن والسنن، ورويت عنه المغازي وأخبار الأنبيآء - عليهم السلام - من غير أن يرى هو وأبوه محمّد بن عليّ - عليهما السلام - أو عليّ بن الحسين - عليهما السلام - عند أحد من رواة حديث العامّة وفقهائهم يتعلّمون منهم شيئاً. وفي ذلك أدلّ دليل على أنّهم أخذوا ذلك العلم عن النبيّ - صلّى

١٩) عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٥٣؛ والاكمال، باب ماروي عن النبيّ - صلّى الله عليه وآله -، ص ٢٨٢، ح ٣٥؛ واعلام الورى، ص ٣٧٠، بأدنى تفاوت فيها.

الله عليه وآله ـ ثمّ عن عليّ ـ عليه السلام ـ ثمّ عن واحد واحد من الأئمة.

وكذلك جماعة الأئمة ـ عليهم السلام ـ هذه سنّتهم في العلم؛ يسألون عن الحلال والحرام، فيجيبون جوابات متفقة من غير أن يتعلّموا ذلك من أحد من الناس.

فأي دليل أدلّ من هذا على امامتهم، وأنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ نصبهم وعلّمهم وأودعهم علمه وعلوم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قبله؟ وهل رأينا في العادات من ظهر عنه مثل ما ظهر من محمّد بن عليّ ـ عليهما السلام ـ وجعفر ابن محمّد ـ عليهما السلام ـ من غير أن يتعلّموا ذلك من أحد من النّاس؟»[٢٠] انتهى كلامه.

والنصوص الواردة عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ في فضائلهم ومناقبهم أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تخفى؛ سيّما في فضائل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ؛ فقد روى ابن عباس عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه قال: **«لو أنّ الرياض أقلام والبحر مداد والجنّ حسّاب والانس كتّاب، ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.»**[٢١]

وسئل بعض أهل العلم عن فضل عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فقال: **«ما أقول في رجل كتم أعداؤه فضائله حسداً وعدواة، وكتم أولياؤه فضائله خوفاً وتقيّة، ثمّ ظهر من بين الكتمانين فضائل طبقت الخافقين.»**[٢٢]

هداية في الصفات العامّة للأئمة:

ويجب أن يعلم أنّهم ـ عليهم السلام ـ أولوا الأمر الذّين أمر الله بطاعتهم، وأنّهم الشهدآء على الناس، وأنّهم أبواب الله والسبل اليه والأدلاّء عليه، وأنّهم عيبة علمه وأركان توحيده، وأنّهم معصومون من الخطأ والزلل، وأنّهم الذّين

٢٠) إكمال الدين، ص ٩١.

٢١) المناقب للخوارزمي، ص ٢ ، ٢٣٥؛ والطرائف، ص ١٣٩؛ والبحار، ج ٤٠، باب جوامع مناقبه ـ عليه السلام ـ، ص ٤٩ و ٧٠؛ وج ٣٨، باب في ثواب ذكر فضائله، ص ١٩٧.

٢٢) الكلام للشافعي، ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة كما في غاية المرام، باب سعة فضايل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من طريق العامة، ص ٤٩٧.

أذهب الله عنهم الرجس ـ يعني: الشك ـ وطهّرهم تطهيراً، وأنّ لهم الدلائل والكرامات والمعجزات، وأنّهم أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السمآء، وأنّ مثلهم في هذه الأمّة كمثل سفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، وأنّهم عباد الله المكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وأنّ حبّهم ايمان و بغضهم كفر، وأنّ أمرهم أمر الله ونهيهم نهي الله، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، و وليّهم ولي الله وعدوهم عدو الله، وأنّ الأرض لاتخلو من حجة الله تعالى على خلقه امّا ظاهر مشهور وامّا خائف مغمور، وإلا لساخت الأرض بأهلها[٢٣].

في صفات القائم عجّل الله تعالى فرجه:

وأنَّ من مات ولم يعرف امام زمانه، مات ميتة جاهلية، وأنّ حجة الله في أرضه وخليفته على عباده في زماننا هو «القائم المنتظر محمّد بن الحسن العسكري»، وأنه هو الذي أخبر به النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ عن الله عزّوجلّ باسمه ونعته ونسبه، وكذا سائر أهل البيت ـ عليهم السلام ـ . وأنه هو الذّي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وأنّه هو الذّي يظهر الله به دينه ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، وأنّه هو الذّي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها؛ حتّى لا يبقى في الأرض مكان إلا نودي فيه بالأذان، و يكون الدين لله، وأنّه هو المهدي الذّي أخبر النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه اذا خرج نزل عيسى بن مريم يصلّي خلفه[٢٤].

وأنّهم ـ عليهم السلام ـ كلّهم مقتولون بالسّم، سوى عليّ والحسين ـ عليهما السلام ـ فبالسيف.

ومن جحد امامة أحدهم، فهو بمنزلة من جحد نبوّة جميع الأنبياء ـ عليهم

٢٣) كلّ فقرة من هذه الفقرات مضمون أحاديث وردت في أبواب مختلفة قد أعرضنا عن ذكر مصادرها مخافة الاطالة . من أرادها فليطلبها من مظانّها.

٢٤) هذه الفقرات كسابقها تطلب من الكتب المؤلّفة في أحوال القائم ـ عجلّ الله تعالى فرجه الشريف ـ . صفحنا عن ذكرها مخافة التطويل.

السلام ـ؛ قال الصادق عليه السّلام ـ: **«المنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا.»** [٢٥]

وعن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: **«من جحد عليّاً امامته بعدي فقد جحد نبوّتي، ومن جحد نبوّتي فقد جحد الله ربوبيّته.»** [٢٦]

والغالي فيهم كالمقصر، بل هو أشرّ.

تنبيه: حبّ أوليآء الله وبغض أعدائه:

حبّ أولياء الله واجب، وكذا بعض أعدآء الله والبراءة منهم ومن أئمتهم؛ سيّما من الذين ظلموا آل محمّد ـ عليهم السلام ـ حقّهم وغصبوا ميراثهم، وغيّروا سنّة نبيّهم ـ صلّى الله عليه وآله ـ؛ ومن الذّين نكثوا بيعة امامهم، وأخرجوا المرأة، وحاربوا أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وقتلوا الشيعة؛ ومن الذّي نفى الأخيار وشرّدهم، وآوى الطرداء اللعناء، وجعل الأموال دولة بين الأغنياء، واستعمل السفهاء؛ والذّي قتل الأنصار والمهاجرين وأهل الفضل والصلاح من السابقين، وأهل الاستبشار[٢٧] و[من] أبي موسى الأشعري وأهل ولايته **«الذّين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً* أولئك الذين كفروا بآيات ربّهم** [بولاية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ] **ولقائه** [بأن لقوا الله بغير امامته] **فحبطت أعمالهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا.»** [٢٨] فهم كلاب أهل النار.

والولاء لأولياء أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ الذّين مضوا على منهاج نبيّهم ولم يغيّروا ولم يبدّلوا؛ مثل: سلمان الفارسي، وأبي ذرّ الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمّار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم بن التيّهان، وسهل بن حنيف، وعبادة بن الصامت، وأبي أيّوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري، وأمثالهم؛ ولأتباعهم وأشياعهم، المهتدين بهداهم والسالكين مناجهم ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ. كذا عن مولانا الرضا ـ عليه وعلى آبائه السّلام ـ[٢٩].

٢٥) الاعتقادات، باب الثامن والثلاثون.

٢٦) الأمالي للصدوق، المجلس الرابع والتسعون وفيه «أنكر» بدل «جحد»؛ والبحار، ج ٨:٣، باب في جوامع الأخبار الدالة على امامته، ص ١٠٩، ح ٣٩، نقلاً عنه.

٢٧) وهم الذين بشّرهم النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ بالجنّة؛ كعمّار وأمثاله.

٢٨) الكهف / ١٠٤ ــ ١٠٥.

٢٩) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٢٤.

[٥]
باب المعاد

هداية في أنّ الموت حقّ:

الموت حقّ و«كلّ نفسٍ ذائقة الموت»[١] ، إلا أنّ الانسان خلق للأبد والبقاء، لا للعدم والفنآء، فلا يعدم بالموت، بل يفرّق بين روحه وجسده، و ينتقل من دار الى دار؛ كذا في الحديث النبوي[٢] وقال الله عزّ وجلّ: «**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات ،بل أحياء...**»[٣]

ونادى النبيّ صلّى الله عليه وآله الاشقياء المقتولين يوم بدر: «**يافلان! يافلان! قد وجدت ماوعدني ربّي حقّاً، فهل وجدتم ماوعد ربّكم حقّاً؟** ثمّ قال: «**والذي نفسي بيده انّهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنّهم لايقدرون على الجواب.**»[٤]

هداية: المسائلة في القبر:

المساءلة في القبر حقّ؛ قال الصادق ـ عليه السلام ـ: «**من أنكر ثلاثة أشياء**

١) آل عمران / ١٨٥.

٢) الاعتقادات، الباب الخامس عشر؛ والبحار، ج ٦، باب البرزخ والقبر، ص ٢٤٩، ح ٨٧، نقلاًعنه.

٣) البقرة / ١٥٤.

٤) صحيح البخاري، ج ٥، باب قتل أبي جهل، ص ٩٧؛ وسيرة ابن هشام، ج٢، ص ٢٩٢؛ والسيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٤٣١؛ وتاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٥٥؛ والكامل لابن أثير، ج ٢، ص ٥٣؛ كما في البحار، ج ٦، ص ٢٠٧ و ٢٥٤ و ٣٤٦.

فليس من شعيتنا: المعراج، والمسائلة في القبر، والشفاعة.»[٥]

ولايسأل إلا من محض الايمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، والباقون يلهون عنهم وما يعبأ بهم، فمن أجاب بالصواب فاز بروح وريحان في قبره وبجنّة نعيم في الآخرة، و يسأل وهو مضغوط، وما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر، وأكثر مايكون عذاب القبر من سوء الخلق والنميمة والاستخفاف بالبول، وهو للمؤمنين كفارة لما بقي عليهم من الذنوب التي لا تكفّرها الهموم والغموم والأمراض وشدّة الفزع عند الموت.

هداية في أنّ البعث بعد الموت حقّ:

البعث بعد الموت حقّ لاقتضاء عدل اللّه وحكمته ايصال جزاء التكاليف الى العبيد، والوفاء بالوعد والوعيد، ومؤاخذة الظالم للمظلوم، الى غير ذلك؛ قال اللّه سبحانه وتعالى: **«أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم الينا لا ترجعون؟»**.[٦]

وقال عزّ وجلّ: **«ان كنتم في ريب من البعث، فانّا خلقناكم من تراب** [الى قوله:] **ذلك بأنّ الله هو الحقّ وأنّه يحيي الموتى، وأنّه على كلّ شئ قدير* وأنّ الساعة آتية لاريب فيها وأنّ اللّه يبعث من في القبور»**[٧]

وقال عزّ اسمه: **«ولقد خلقنا الانسان من سلالة** [الى قوله تعالى:] **ثمّ انكم بعد ذلك لميّتون *ثمّ انّكم يوم القيامة تبعثون.»**[٨]

وقال تعالى: **«كما بدأنا أوّل خلق، نعيده.»**[٩]

وقال النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ: **«يابني عبد المطلب !انّ الرائد لايكذب أهله، والذي بعثني بالحقّ لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلا جنّة أو نار.»**[١٠]

٥) الأمالي للصدوق، المجلس التاسع والأربعون، ح ٥؛ والبحار، ج ٦، باب أحوال البرزخ والقبر، ص ٢٢٣، ح ٢٣ وج ٨، باب الشفاعة، ص ٣٧، نقلاًعنه.

٦) المؤمنون / ١١٥.

٧) الحج / ٥ ــ ٧.

٨) المؤمنون / ١٢ ــ ١٦.

٩) الأنبياء / ١٠٤.

١٠) الاعتقادات، الباب التاسع عشر؛ والبحار، ج ٧، باب اثبات الحشر، ص ٤٧، ح ٣١؛ كما في الكامل

←

هداية في أنّ الصراط حقّ:

الصراط حقّ، وهوجسر ممدود على متن جهنّم ينتهي الى الجنّة، وعليه ممرّ جميع الخلائق؛ قال اللّه عزّ وجلّ: «**وان منكم إلا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً.**» [١١]

وعن الصادق ـ عليه السلام ـ: «**الصراط أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حبواً، ومنهم من يمرّ مشياً، ومنهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً.**» [١٢]

وقال أيضاً: «**الصراط هو الطريق الى معرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. فأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة؛ من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه، مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا، زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردى في نار جهنّم.**» [١٣]

يعني: أنّ الامام هو الطريق الى معرفة الله، والهادي الى سبيله قولاً وفعلاً، فمن عرفه في الدنيا، واقتدى بهداه، واستنّ بسنّته، ومرّ على الصراط المستقيم الذي مرّ هو عليه في الدنيا؛ أي: طريقته التي هو عليها في الأعمال والأخلاق؛ كما قال اللّه عزّ وجلّ حكاية عن نبيّنا محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ: «**وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه**» [١٤]، فهو الناجي الذي يمرّ على صراط الآخرة؛ ومن لم يعرفه ولم يهتد الى طريقته ولم يعمل بها، فهو الهالك الذي تزلّ قدمه عن صراط الآخرة.

وفي حديث آخر عن الزكيّ العسكريّ ـ عليه السلام ـ:

لابن أثير، ج ٢، ص ٢٤؛ والسيرة الحلبية، ج ١، ص ٤٥٩، بأدنى تفاوت.

١١) مريم / ٧١.

١٢) الأمالي للصدوق، المجلس الثالث والثلاثون، ح ٤؛ والبحار، ج ٨، باب الصراط، ص ٦٤، ح ١، نقلاً عنه.

١٣) للعاني، باب معنى الصراط، ص ٣٢، ح ١؛ والبحار، ج ٨ باب الصراط، ص ٦٦، ح ٣، نقلاً عنه.

١٤) الأنعام / ١٥٣.

«انّ الصراط في الدنيا ماقصر عن الغلوّ، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل.»[١٥]

وهذا ايضاً قريب من ذلك في المعنى، بل هما واحد عند التحقيق، فانّ الاستقامة التي لاعدول عنها الى شيء من طرفي الافراط والتفريط، هي طريقة الامام ـ عليه السلام ـ.

وعلى الصراط عقبات تسمّى بأسماء الأوامر والنواهي؛ كالصلاة والزكاة، والرحم والأمانة، وولاية الامام ـ عليه السلام ـ وغيرها، فمن قصّر في شيء منها، حبس عند تلك العقبة وطولب بحقّ اللّه فيها، فان خرج منها بعمل صالح قدّمه أو برحمة تدراكته، نجا منها الى عقبة أخرى، فلا يزال يدفع من عقبة الى عقبة ويحبس فيسأل حتّى اذا سلم من جميعها انتهى الى دار البقاء، فيحيى حياة لاموت فيها أبداً، و يسعد سعادة لاشقاوة معها أبداً، وان لم يسلم، زلّت قدمه عن العقبة، فتردى في نارجهنّم؛ نعوذ باللّه منها.

هداية في الميزان:

الميزان حقّ والحساب حقّ؛ قال الله عزّ وجلّ: **«والوزن يومئذ الحق، فمن ثقلت موازينه، فأولئك هم المفلحون.»**[١٦] **«ومن خفّت موازينه، فاولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون.»**[١٧]

وقال: **«ونضع الموازين القسط ليوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئاً، وان كان مثقال حبّة من خردل، أتينا بها، وكفى بنا حاسبين.»**[١٨]

وقال الصادق ـ عليه السلام ـ: **«الموازين القسط هم الأنبياء والأوصياء ـ عليهم السلام ـ.»**[١٩]

١٥) المعاني، باب معنى الصراط، ص ٣٣، ح ٤؛ والبحار، ج ٨، باب الصراط، ص ٦٩، ح ١٨.

١٦) الأعراف / ٨.

١٧) المؤمنون / ١٠٣.

١٨) الأنبياء / ٤٧.

١٩) المعاني، باب معنى الموازين التي توزن بها أعمال العباد، ص ٣١؛ والبحار، ج ٧، باب الميزان، ص ٢٤٩، ح ٦، نقلاًعنه.

أقول: وشرح ذلك أنّ الميزان هو المعيار الذي يعرف به قدر الشيء؛ وارتفاع قدر العباد وقبول أعمالهم، انّما هو بقدر ايمانهم بالأنبياء والأوصياء ومحبّتهم لهم، وطاعتهم ايّاهم في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم، والاقتفاء لآثارهم.

فالمقبول الراجح الثقيل من الأعمال ماوافق أعمالهم، والمرضيّ الحسن الجميل من الأخلاق والأقوال ماطابق أقوالهم، وأخلاقهم، والحقّ الصائب السديد من الاعتقادات ما أخذ منهم.

والمردود منها ما خالف ذلك؛ وكلّما قرب من ذلك، قرب من القبول، وكلّما بعد بعد، فهم إذن موازين الأعمال والعلوم بهذا المعنى؛ فافهم.

هداية في الحساب:

الحساب حقّ؛ هو جمع تفاريق المقادير والأعداد وتعريف مبلغها. وفي قدرة اللّه عزّ وجلّ أن يكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل حسناتهم وسيّئاتهم **«وهو اسرع الحاسبين»** [٢٠] و يأبى اللّه إلا أن يعرّفهم حقيقة ذلك؛ ليبيّن فضله عند العفو، وعدله عند العقاب، فيخاطب عباده جميعاً من الأوّلين بمحلّ [٢١] حساب أعمالهم مخاطبة واحدة يسمع منها كلّ واحد قضيّته دون غيره، و يظنّ أنه المخاطب دون غيره. لايشغله عزّ وجلّ مخاطبة عن مخاطبة. يفرغ من حسابهم جميعاً مقدار ساعة من ساعات الدنيا، ويخرج لكلّ انسان كتاباً يلقاه منشوراً، ينطق عليه بجميع أعماله؛ **«لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها»** [٢٢] فيجعله الله محاسب نفسه والحاكم عليها بأن يقال له: **«اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.»** [٢٣] ويختم الله تبارك وتعالى على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وجميع جوارحهم بما كانوا يكسبون؛ **«وقالوا لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء.»** [٢٤] فتتطاير الكتب وتشخص الأبصار اليها، أتقع في اليمين أو

٢٠) الأنعام / ٦٢.
٢١) خ. ل: «بمجمل».
٢٢) الكهف / ٤٩.
٢٣) الاسراء / ١٤.
٢٤) فصلت / ٢١.

في الشمال؛ **«فأمّا من اوتي كتابه بيمينه، فيقول: هاؤم اقرؤا كتابيه.»** [٢٥] **«وأمّا من اوتي كتابه بشماله، فيقول ياليتني لم أوت كتابيه.»** [٢٦] ثمّ ينظر الى الميزان، أيميل الى جانب السيّئات أم الحسنات، وهل الحسنات ثقيلة أم خفيفة؛ **«فأمّا من ثقلت موازينه* فهوفي عيشةٍ راضية* وأمّا من خفّت موازينه* فأمّه هاوية»** [٢٧] نعوذ بالله منها.

تنبيه:

لاينجو من خطر الميزان والحساب إلا من حاسب نفسه في الدنيا ووزّن بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطواته ولحظاته؛ كما ورد في الحديث: **«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، وزنوها قبل أن توزنوا.»** [٢٨]

هداية في أنّ أهوال القيامة حقّ:

كلّما ورد في الشرع من أهوال القيامة وطوله وحرّه وعرق الناس فيه، وازدحامهم واختصامهم، و براءة بعضهم من بعض، وفرار المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته و بنيه، والسياق، واحضار الشهداء، والمساءلة، وغير ذلك كما أخبر الله عزّ وجلّ عنه في القرآن، وأئمة الهدى ـ عليهم السلام ـ في الأخبار المروية عنهم، حقّ وصدق ولاريب فيه؛ قال الصادق ـ عليه السلام ـ: **«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فانّ للقيامة خمسين موقفاً، كلّ موقف مقام ألف سنة، ثمّ تلا: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.»** [٢٩]

تنبيه:

قيل: كلّ عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حجّ وجهاد، وصيام

٢٥) الحاقّة / ١٩.
٢٦) الحاقّة / ٢٥.
٢٧) القارعة / ٦ ـــ ٩.
٢٨) محاسبة النفس، باب الثاني؛ والبحار، ج ٧٠، باب مراتب النفس وعدم الاعتماد عليها، ص ٧٣، ح ٢٦، نقلاًعنه؛ وأيضاً في نهج البلاغة، خ ٩٠ ، ص ١٢٣، بتغيير مكان الألفاظ.
٢٩) المعارج / ٤؛ والخبر في الكافي، ج ٨، ص ١٤٣، ح ١٠٨؛ والأمالي للشيخ، ج ١، ص ٣٤؛ والبحار، ج ٧، باب مواقف القيامة، ص ١٢٦، ح ٣، نقلاًعنها.

وقيام، وتردّد في قضاء حاجة مسلم، وتحمّل مشقّة، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، سيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة، و يطول فيه الكرب. ومن طال انتظاره في الدنيا للموت لشدّة مقاساته للصبر عن الشهوات، فانّه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصّة. سئل النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ عن طول ذلك اليوم، فقال: **«والذي نفسي بيده انّه ليخفّف عن المؤمن، حتّى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلّيها في الدنيا.»** [٣٠]

تنبيه:

من كان له عند غيره مظلمة، يؤخذ له من حسنات الظالم بقدر حقّه فتزاد على حسناته، فان لم يكن للظالم حسنات، يؤخذ من سيّئات المظلوم فتزاد على سيّئات الظالم؛ كذا عن أئمة الهدى ـ صلوات الله عليهم [٣١] ـ وعن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: **«هل تدرون من المفلس؟»** قالوا: المفلس فينا يارسول الله من لادرهم له ولا متاع، فقال: **«المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، و يأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، وان فنيت حسناته قبل أن يقضي ماعليه، أخذ من خطاياهم وطرحت عليه، ثمّ يطرح في النار.»** [٣٢]

هداية في الشفاعة والحوض:

الشفاعة حقّ والحوض حقّ؛ قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ **«من لم يؤمن بحوضي، فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي.»** ثمّ

٣٠) مسند أحمد، ج ٣، ص ٧٥؛ ومجمع البيان، ذيل آية ٤ من سورة المعارج؛ والبحار، ج ٧، باب مواقف القيامة، ص ١٢٣، نقلاً عنه.

٣١) الكافي، ج ٨، ص ١٠٦، نقلاً عن زين العابدين ـ عليه السلام ـ؛ والبحار ج ٧، باب محاسبة العباد، ص ٢٦٨، ح ٣٥ نقلاً عنه.

٣٢) مسند أحمد، ج ٢، ص ٣٠٣؛ وصحيح مسلم، كتاب البرّ والصلة، باب ١٥، ح ٥٩؛ والبحار، ج ٧٢، باب فضل الفقر والفقراء، ص ٦.

قال: «انّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، وأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل.» [٣٣]

وفي رواية أخرى: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي ما خلا الشرك والظلم.» [٣٤]

وقال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «انّ من أمّتي من يُدخل الجنّة بشفاعته أكثر من مضر.» [٣٥]

و يقال: «أقلّ المؤمنين شفاعة من يشفع لثلاثين انساناً.» [٣٦]

وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: «انّ حوضي مابين عدن الى عمّان البلغاء؛ ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء؛ من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.» [٣٧]

وفي الخبر: أنّ الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين عليّ ـ عليه السلام ـ يسقي منه أولياءه و يردّ عنه أعداءه. [٣٨]

هداية في الجنة والنار:

الجنّة حقّ والنار حقّ، وهما مخلوقتان اليوم، بل لاتخرج نفس من الدنيا، حتّى ترى مكانها من احديهما، كذا عن أئمة الهدى ـ صلوات الله عليهم ـ. [٣٩]

والجنّة دار البقاء ودار السلام، لاموت فيها ولاهرم، ولامرض ولاسقم، ولاآفة ولازمانة، ولاغمّ ولاهمّ، ولاحاجة ولافقر. وهي دار الغنى والسعادة،

٣٣) الأمالي للصدوق، المجلس الثاني، ح ٤؛ والعيون، باب ماجاء عن الرضا ــ عليه السلام ــ في التوحيد، ص ١١٢، ح ٣٥؛ والبحار، ج ٨، باب الشفاعة، ص ٣٨، ح ٤، نقلاً عنهما.

٣٤) الخصال، ج ١، أبواب السبعة، ص ٣٥٥، ح ٣٦؛ والبحار، ج ٨، باب الشفاعة، ص ٣٨، ح ١٨، نقلاً عنه.

٣٥) مسند أحمد، ج ٤، ص ٢١٢؛ كما في مجمع البيان، ذيل آية ٤٨ من سورة المدثر؛ والبحار، ج ٨، باب الشفاعة، ص ٣٤، نقلاً عنه.

٣٦) الاعتقادات، باب الحادي والعشرون، عن النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ؛ والبحار، ج ٨، باب الشفاعة، ص ٥٨، ح ٧٥، نقلاً عنه؛ وكذا في روضة الكافي، ص ١٠١، ح ٧٢، عن الباقر ــ عليه السلام ــ.

٣٧) سنن الترمذي، ج ٣، باب ماجاء في صفة أواني الحوض، ص ٣٠٠؛ ومسند أحمد، ج ٢، ص ١٣٢.

٣٨) الاعتقادات، باب العشرون، بأدنى تفاوت؛ والبحار، ج ٨، باب صفة الحوض، ص ٢٧، نقلاً عنه؛ ونظيره في البحار، ج ٨، باب صفة الحوض.

٣٩) رواه الصدوق في التوحيد، باب ماجاء في الرؤية، ص ١١٧، ح ٢١؛ والأمالي والعيون؛ كما في البحار، ج ٨، باب الجنّة ونعيمها، ص ١١٩، ح ٦.

ودار المقامة والكرامة؛ لايمسّ أهلها فيها نصب ولايمسهم فيها لغوب[٤٠] «**لهم فيها ماتشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وهم فيها خالدون**»[٤١] ولذّاتهم على أنواع: منهم المتنعمون بتقديس اللّه وتسبيحه في جملة ملائكته، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك وحور العين، واستخدام الولدان المخلّدون، والجلوس على النمارق والزرابي، ولباس السندس والحرير. كلّ منهم انّما يتلذّذ بما يشتهي و يريد على حسب ما تعلّقت عليه همّته[٤٢]؛ لايتغوّطون ولايبولون، وانّما هو جشأ ورشح كالمسك؛ يلهمون الحمد والتسبيح، كما يلهمون النفس[٤٣]، و يزدادون كمالاً وحسناً، كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرماً[٤٤].

ولها ثمانية أبواب، عرض كلّ باب منها مسيرة أربعمائة سنة.[٤٥]

والنار دار الهوان ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان: «**لايقضى عليهم فيموتوا، ولايخفّف عنهم من عذابها.**»[٤٦] «**لايذوقون فيها برداً ولاشراباً إلا حميماً وغسّاقاً**»[٤٧] وان استطعموا، أطعموا من الزقّوم، وان استغاثوا، أغيثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه؛ بئس الشراب وساءت مرتفقا،[٤٨] «**ينادون من مكان بعيد**»:[٤٩] «**ربّنا أخرجنا منها، فان عدنا فانّا ظالمون**»[٥٠] فيمسك الجواب عنهم أحياناً، ثمّ قيل لهم: «**اخسئوا فيها ولا تكلّمون.**»[٥١] «**ونادوا: يامالك !ليقض علينا ربّك ،قال انّكم ماكثون.**»[٥٢] «**لها**

٤٠) راجع سورة الفاطر / ٣٥.

٤١) الزخرف / ٧١؛ والحديث في البحار، ج ٨، باب الجنّة ونعيمها، ص ١٧٩، ح ١٣٧.

٤٢) من قوله: «والجنّة دارالبقاء» إلى هنا في الاعتقادات، باب التاسع والعشرون؛ كما في البحار، ج ٨، باب الجنة ونعيمها، ص ٢٠٠، ح ٢٠٤، نقلاًعنه.

٤٣) راجع روضة الواعظين، ج ٢، باب في ذكر الجنّة، ص ٥٠٥.

٤٤) نفس المصدر.

٤٥) الخصال، ج ٢، باب الثمانية، ص ٤٠٨، ح ٧، إلاّ أنّ فيه «أربعين» بدل «أربعمائة»؛ والبحار، ج ٨، باب الجنة ونعيمها، ص ١٣١، ح ٣٢، نقلاً عنه.

٤٦) الفاطر / ٣٦.

٤٧) النباء / ٢٤ ــ ٢٥.

٤٨) مأخوذ من آية ٢٩، سورة الكهف.

٤٩) فصّلت / ٤٤ .

٥٠) المؤمنون / ١٠٧.

٥١) المؤمنون / ١٠٨.

٥٢) الزخرف / ٧٧، ومن قوله: «والنار دارالهوان» الى هنا في الاعتقادات، باب التاسع والعشرون؛ كما في

سبعة أبواب، لكلّ باب منهم جزء مقسوم.» [٥٣]

هداية في مستحق الجنّة ومستحقّي النار:

الجنّة لأهل الايمان، الذين لم يذنبوا كبيرة، أو تابوا منها، أو أدركتهم الشفاعة، أو نالتهم الرحمة. والنار لأهل الشرك والكفر والجحود خلوداً، ولأهل الكبائر من المؤمنين الذين ماتوا من غير توبة وروداً من غير خلود لاستحقاقهم الثواب بالايمان، فيخرجون منها بعد استيفاء عذابهم، الذي استحقّوها بالذنوب التي اكتسبوها بالرحمة التي تدركهم، والشفاعة التي تنالهم.

وروي انّه لايصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النار اذا دخلوها، وانّما يصيبهم الألم عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم، وما الله بظلاّم للعبيد. [٥٤]

ومن وعده اللّه على عمل ثواباً، فهو منجّزة البتة: **«ولن يخلف الله وعده»** [٥٥]، ومن أوعده الله على عمل عقاباً، فهو فيه بالخيار ان عذّبه فبعدله، وان عفا عنه فبفضله؛ وقد قال الله عزّوجلّ: **«انّ الله لايغفر أن يشرك به، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء.»** [٥٦]

وفي الخبر أنّ قسيم الجنّة والنار أميرالمؤمنين ـ عليه السلام [٥٧] ـ وذلك لأنّ بحبه و بغضه يمتاز أهلوهما، فانّ حبّه ايمان و بغضه كفر، وانّما خلقت الجنّة لأهل الايمان، وخلقت النار لأهل الكفر؛ كذا عن الصادق ـ عليه السلام [٥٨] ـ. رزقنا اللّه متابعتهم ومشايعتهم كما رزقنا حبّهم بمنّه.

البحار، ج ٨، باب النار، ص ٣٢٤، ح ١٠٢، نقلاًعنه.

٥٣) الحجر / ٤٤.

٥٤) راجع الاعتقادات، باب التاسع والعشرون؛ والبحار، ج ٨، باب النار، ص ٣٢٤، ح ١٠٢.

٥٥) الحج / ٤٧.

٥٦) النساء / ٤٨.

٥٧) راجع البحار، ج ٣٩، باب أنّه ـ عليه السلام ـ قسيم الجنّة والنّار.

٥٨) علل الشرايع، باب العلّة التي من أجلها صار عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ قسيم الله بين الجنّة والنار، ص ١٦١؛ والبحار، ج ٣٩، باب أنّه ـ عليه السلام ـ قسيم الجنّة والنار، ص ١٩٤، ح ٥، نقلاًعنه.

المقصد الثاني

في الأعمال

١ ـ باب طاعات الجوارح

٢ ـ باب معاصي الجوارح

٣ ـ باب طاعات القلب

٤ ـ باب معاصي القلب

٥ ـ باب آداب الصحبة والمعاشرة

٦ ـ خاتمة

[١]
باب طاعات الجوارح

هداية: الفرائض والنوافل:

طاعات الجوارح امّا فرائض وامّا نوافل؛ والفرض بمنزلة رأس المال وبه أصل النجاة، والنفل هو الربح وبه الفوز بالدرجات؛ قال الله عزّ وجلّ: **«ماتقرّب الي عبدي بشيء أفضل ممّا افترضته عليه، وانّه ليتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أحبّه ــ الحديث.»**[١]

والفرائض امّا عينيّة أو كفائيّة؛ فمن العينيّة: الصلوة والزكوة، والحجّ والصيام، وصلة الأرحام وردّ السلام، والسجود عند تلاوة العزائم وعند استماعها في مواضعه، و برّ الوالدين، وأداء حقوق الاخوان، ونفقة الزوجة والمملوك وسائر حقوقهما، ونفقة الأقارب مع فقرهم وغنائه، وتقدير المعيشة من غير اسراف ولابخل، وطلب الحلال، ودفع الضرر عن النفس والمال، والختان للرجال، والتزويج مع خوف الوقوع في الحرام بدونه، والصدق في الأقوال والأفعال، وأداء الامانة الى البرّ والفاجر ولوإلى قاتل الحسين ــ عليه السلام ــ ، والوفاء بالعهد والوعد، وصرف نعم الله سبحانه فيما خلقت لأجله.

١ ــ المحاسن، باب المحبوبات، ص ٢٩١، ح ٤٤٣، بأدنى تفاوت؛ كما في البحار، ج ٨٧، باب جوامع أحكام النوافل اليومية، ص ٣١، ح ١٥؛ وج ٧٠، باب حبّ الله تعالى، ص ٢٢ ح ٢١؛ و الوسائل، ج ٣، كتاب الصلوة، باب تأكد استحباب المداومة على النوافل، ص ٥٣، ح ٦، نقلاً عنه؛ و قريب منه في مستدرك الوسائل، ج ١، باب تأكد استحباب المداومة على النوافل.

ومن الكفائيّة: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والافتاء في المسائل الشرعيّة، والقضاء فيها مع اضطرار الناس اليها، وكذا سائر الصناعات الضروريّة لهم؛ كالطبابة والخياطة والفلاحة وغيرها ممّا لايحصى، واطعام الجائعين، واغاثة المستغيثين في النائبات على ذوي اليسار مع قصور الصدقات الواجبة، وتحمّل الشهادة مع عدم تعيّنه عليه، وتجهيز الموتى وتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم والصلوة عليهم الى غير ذلك.

ومن الفرائض مايتّصف بالنفل أيضاً. والنوافل كثيرة لا تدخل تحت الضبط والحصر؛ منها: اكثار ذكر الله سبحانه، وتلاوة القرآن والسجود عند موضعه من غير العزائم، والدعاء، والاختلاف الى المساجد، وافشاء السلام، واتّخاذ الاخوان ومواساتهم والمكافاة على صنائعهم، واستعمال المروّة والسخآء والجود، و بذل المال والتوسّع على العيال، والاحسان الى الضعيفين المرأة والمملوك ، والتعطّف على الفقراء والمساكين ومشاركتهم في المعيشة، واكرام ذي الشيبة المسلم، والتواضع للمؤمنين، وكرم الصحبة وحسن الجوار، وحفظ اللسان إلا من خير، والاعتراف بالتقصير في جميع الحالات، والا تيان بالآداب والسنن النبويّة في سائر الحركات والسكنات؛ رزقنا الله ذلك كلّه وساير المؤمنين بمنّه وجوده.

فهذه أمّهات الفرائض والنوافل. منها مالايحتاج الى مزيد شرح و بيان؛ كصدق الحديث وأداء الامانة، ومنها مالايعمّ المكلّفين قاطبة؛ كالزكوة، فانّها تخصّ بذي المال البالغ الى النصاب، وكالحجّ المختصّ بمن استطاع، فليس تعلّم مثل ذلك فريضة على كلّ مسلم ومسلمة. فلنقتصر من بيان الفرائض على ما يحتاج الى البيان ويعمّ كلّ انسان وفي جميع الأوان، ومن النوافل مايتعلّق بذلك . و بالجملة مايتوزّع على الاوقات في اليوم والليلة. فان أردت ماسواه أو احتجت الى مزيد بيان لمابيّنّاه فاطلبه ممّا أوردناه في كتابنا المسمّى بـ «مفاتيح الشرايع».

هداية: تحقّق القيام بالأوامر بمراقبة القلب:

لن تصل أيّها الطالب الى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وانفاسك من حين تصبح الى حين تمسي. فاعلم أنّ الله سبحانه مطّلع على ضميرك، ومشرف على ظاهرك و باطنك، ومحيط بخطراتك وخطواتك وسائر حركاتك وسكناتك ولحظاتك، وانّك في مخالطتك وخلواتك متردّد بين يديه، فلايسكن في الملك والملكوت ساكن، ولايتحرّك متحرّك إلا وجبّار السموات والأرض مطّلع عليه. فعليك أن تتأدّب ظاهراً و باطناً بين يدي الله تعالى تأدّب العبد المذنب الذليل في حضرة الجبّار القاهر، واجتهد أن لايراك مولاك حيث نهاك، ولايفقدك حيث أمرك، ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزّع أوقاتك وترتّب أورادك من صباحك الى مسائك، كما نذكرها لك. ونذكر الفرايض بصيغة الأمر ليتميّز عن النوافل.

هداية: آداب الاستيقاظ من النوم:

فاذا استيقظت من النوم، فينبغي أن تجتهد لأن تستيقظ قبل طلوع الصبح، وأن يكون أول مايجري على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى، فتقول عند ذلك: «**الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني، واليه البعث والنشور**» [2]

وان سجدت فقد تأسّيت بالنبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ.

فاذا تمكّنت من الجلوس، تقول: «**حسبي الربّ من العباد، حسبي الذي هو حسبي منذ كنت، حسبي الله ونعم الوكيل.**» [3]

فاذا قمت قلت: «**اللّهم أعنّي على هول المطلع، ووسّع عليّ المضجع، وارزقني خير ماقبل الموت، وارزقني خير مابعد الموت.**» [4]

٢ ــ الكافي، ج ٢، باب الدعاء عندالنوم والانتباه، ص ٥٣٩، ح ١٦؛ و مصباح الكفعمي، الفصل الثاني عشر، ص ٤٩؛ كما في الفقيه، ج ١، باب مايقول الرجل اذا استيقظ من النوم، ص ٣٠٤؛ والبحار، ج ٨٧، باب آداب النوم والانتباه، ص ١٧٣، ح ٤، نقلاً عنه.

٣ ــ مكارم الأخلاق، باب العاشر، ص ٣٣٨.

٤ ــ الكافي، ج ٢، باب الدعاء عندالنوم والانتباه، ص ٥٣٨، ح ١٣؛ والفقيه، باب مايقول الرجل اذا

←

فاذا لبست ثيابك، فتنوي بذلك امتثال أمر الله تعالى في ستر عورتك وتقول: **«الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمّل به في الناس.»**[٥]

فاذا لبست نعلك تقول: **«بسم الله وبالله، اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وطئ قدميّ في الدنيا والآخرة، وثبّتها على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام.»**[٦]

وتبدأ باليمنى.

آداب التخلّي:

واذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة، تقدّم في الدخول رجلك اليسرى وتقول: **«بسم الله، أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم.»**[٧]

ولا تدخل حاسر الرأس، وتقول عند الكشف: **«بسم الله»** ليغضّ الشيطان بصره، واستر عورتك عن الناظر، وتقول عند الفعل: **«الحمد لله الذي أطعمني طيّباً في عافية، وأخرجه منّي خبيثاً في عافية.»**[٨]

وتتّكيء على رجلك اليسرى، واذا وقع نظرك اليه تقول: **«اللّهمّ ارزقني الحلال وجنبّني الحرام»**[٩]

وعند الاستنجاء تقول: **«اللّهم حصّن فرجي، وأعفّه، واستر عورتي، وحرّمني على النار.»**[١٠]

استيقظ من النوم، ص ٣٠٤؛ والبحار، ج ٨٧، باب آداب القيام الى صلوة الليل، ص ١٩٢، ح ٦، نقلاً عنها؛ كذا في مكارم الأخلاق،الباب العاشر، ص ٣٣٧.

٥ ــ الكافي، ج ٦، كتاب الزيّ والتجمّل، باب القول عندلباس الجديد، ص ٤٥٨، ح ١ و ص ٤٥٩، ح ٣؛ ومكارم الأخلاق،الباب السادس، ص ١١٣، بأدنى تفاوت فيها.

٦ ــ مكارم الأخلاق، باب السادس، ص ١٤٢.

٧ ــ الفقيه، ج ١، باب في ارتياد المكان للحدث، ص ١٧، ح ١؛ والوسائل، ج ١، ص ٢١٧، نقلاً عنه؛ كما في البحار، ج ٨٠، باب آداب الخلاء.

٨ ــ الفقيه، ج ١، باب في ارتياد المكان للحدث، ص ١٦، ح ٢؛ والوسائل، ج ١، ص ٢١٧، ح ٥، نقلاً عنه؛ و مفتاح الجنات، ج ١، ص ٤٢، باختلاف يسير فيها.

٩ ــ الفقيه، ج ١، باب في ارتياد المكان للحدث، ص ١٦، ح ٣؛ ومفتاح الجنات، ج ١،الباب الثاني،ص ٤٢.

١٠ ــ الفقيه، ج ١، باب في صفة وضوء أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ، ص ٢٦، ح ١؛ والتهذيب، ج ١، باب

وتستنجي بيدك اليسرى، واغسل مخرج البول بالماء ــ لايجزي غيره ــ بعد أن تستبرئ منه بامرار اليد من أسفل القضيب والتنحنح والنتر، وتجمع في الآخر بينه وبين الحجر، فان اقتصرت على الحجر، فاستعمل ثلاثة أحجار طاهرات منشّفات للعين؛ تمسح بها محلّ النجو بحيث لاينتقل النجاسة عن موضعها، فان لم يحصل الانقاء بثلاثة، فتمّم بخمسة أو سبعة الى أن تنقي. فالاتيان نفل والانقاء فرض. وتقول عند الفراغ ماسحاً بطنك: «**الحمد لله الذي أماط عنّي الأذى، وهنّأني طعامي وشرابي، وعافاني من البلوى.**»[١١] وتخرج مقدّماً لرجلك اليمنى.

هداية: آداب الوضوء:

فاذا أردت الوضوء تبدأ بالسواك، فانّه مطهّرة للفم ومرضات للربّ، وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك، وتجلس مستقبل القبلة، وتقول عند النظر الى المآء: «**الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً، ولم يجعله نجسا.**»

ثمّ تغسل يديك من الزندين مرّة أو مرّتين قبل ادخالها الاناء ان اغترفت من اناء وتقول: «**بسم الله وبالله، أللّهمّ اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهّرين.**»[١٢] ثمّ تمضمض ثلاثاً بثلاث أكفّ وتقول: «**اللّهم لقّني حجّتي يوم ألقاك، واطلق لساني بذكرك**».

ثمّ تستنشق كذلك وتقول: «**اللّهم لاتحرمني ريح الجنّة، واجعلني ممّن يشمّ ريحها وروحها وطيبها.**»

ثمّ اغترف بيمناك غرفة ناوياً الاتيان بالوضوء لله، مقارناً بها غسل الوجه، مبتدءاً بأعلاه قائلاً: بسم الله، «**اللّهمّ بيّض وجهي يوم تسودّ فيه الوجوه،**

صفة الوضوء، ص ٥٣، ح ٢؛ والكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٧٠، ح ٦؛ والوسائل، ج ١، ص ٢٨٢، ح ١، نقلاً عنها.

١١ ــ الفقيه، ج ١، باب في ارتيادالمكان للحدث، ص ٢٠؛ والبحار، ج ٨٠، باب آداب الخلاء، ص ١٧٧، ح ٢٥.

١٢ ــ هذه الفقرة في التهذيب، ج ١، باب في صفة الوضوء، ص ٧٦، ح ٤١؛ والوسائل، ج ١، باب ٢٦ من أبواب الوضوء، ح ٢، نقلاً عنه.

ولا تسوّد وجهي يوم تبيضّ فيه الوجوه.»

وتمرّ يدك عليه، وتخلّل الشعور، وتفتح عينيك. وحدّ الوجه طولاً وعرضاً مادارت عليه الابهام والوسطى. ثمّ خذ غرفة بيدك اليسرى، واغسل بها اليمنى؛ مبتدءاً بالمرفق بظاهر الذراع، والمرأة بباطنها؛ ممرّاً يدك عليها، وخلّل الشعور والساتر قائلاً: «**اللّهمّ أعطني كتابي بيميني، والخلد في الجنان بيساري، وحاسبني حساباً يسيراً.**»

ثمّ خذغرفة أخرى بيدك اليمنى، فاغسل اليسرى كأختها قائلاً: «**اللّهمّ لا تعطني كتابي بشمالي، ولاتجعلها مغلولةً الى عنقي، وأعوذبك من مقطعات النيران.**»

ثمّ امسح بشرة مقدّم رأسك أو شعره الذي لايخرج بمدّه عن حدّه بمقدار ثلاث أصابع مضمومة ببلل يمينك قائلاً: «**اللّهمّ غشّني برحمتك وبركاتك وعفوك.**»

ثمّ امسح ببقيّة ذلك البلل ظهر قدمك اليمنى من رؤوس الأصابع الى الكعب؛ أعني مفصل الساق والقدم بكلّ الكفّ، و ببلل يسارك قدمك اليسرى كذلك قائلاً: «**اللّهمّ ثبّتني على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، واجعل سعيي فيما يرضيك عنّي.**»[13]

وراع الترتيب والتوالي العرفي. وتقول عند فراغك: «**الحمد لله ربّ العالمين.**»[14]

و ينبغي وحدة الغسلات، بل الاقتصار على غرفة أو غرفتين، والاسباغ بمدّ، وترك الاستعانة، والمشمّس، والآجن، وسؤر غير المأمون، والمستعمل في رفع الحدث الأكبر، وأن تخطر ببالك عند الفراغ أنّك طهّرت ظاهرك وهو مطرح نظر الخلق، فينبغي أن تستحيي من مناجات الله من غير تطهير قلبك وهو موقع نظر الربّ تعالى.

١٣ ـ هذا الفصل مأخوذ من حديث وضوء أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ نقله الحرّ العاملي (ره) في الوسائل، ج ١، باب ١٦ من أبواب الوضوء، ح ١، عن الكافي والفقيه والتهذيب وثواب الأعمال والمجالس و المقنع والمحاسن والخرائج.

١٤ ـ راجع التعليقة رقم ١٢ من هذا الفصل.

هداية:آداب غسل الجنابة :

فـان اصـابـتـك جنابة من احتلام أو وقاع، تستبرئ بالبول كما تستبرئ منه، وأزل ماعلى بدنك من قذر، وتسمّي، وتغسل يديك من الزندين ثلا ثاً، والى المرفقين أفضل، وتمضمض وتستنشق، ثمّ صبّ الماء على رأسك ثلا ثاً، وأنت ناو الا تيان بالغسل لله، ثمّ على شقّك الأيمن، ثمّ الأيسر، وتمرّ يدك على أعضائك كلّها، وخلّل الشعور والموانع، وتقول: «**اللّهمّ طهّر قلبي، وتقبّل سعيي، واجعل ماعندك خيراً لي. اللّهمّ اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهّرين.**»[١٥]

وان ارتمست في الماء ارتماسةً أجزأك ، وينبغي أن لايكون راكداً وترك الاستعانة إلى آخر مامرّ في الوضوء.

هداية: آداب التيمّم :

فـان عـجـزت عـن المآء لـفقده بعد الطلب، أو لمانع من الوصل اليه من سبـع أوحـابـس، أو كـان المـاء الحاضر تحتاج اليه لعطشك أو عطش رفيقك، أو كـان مـلـكـاً لـغـيـرك ، ولم يبع إلا بالثمن المجحف، أو كان بك جراحة أو مرض تخـاف منه على نفسك، فاصبر حتّى يدخل وقت الفريضة، ثمّ اقصد صعيداً طيّباً عـلـيـه تراب خالص طاهر ليّن، وانزع خاتمك، ثمّ اضرب عليه بكفّيك مفرجي الأصـابـع نـاو يـاً الا تـيـان بـالـتـيـمّـم لله، مسمّياً، وامسح بهما جبهتك، وتدخل الجبـيـنين، ثـمّ اضـرب ثـانـيـةً، وامـسـح بـبـاطـن اليسرى ظاهر اليمنى من الزند و بـالـعـكـس. وان اقـتـصرت على الضر بة الاولى في المسحات الثلاث، أجزأك بشرط بقاء العلوق.

هداية: آداب السحر:

فـاذا تـطهّرت، فتطيّب، فانّ ركعتين تصلّيهما متعطّرا، أفضل من سبعين

١٥ ــ التهذيب، ج ١، باب في الاغسال و كيفيّة الغسل من الجنابة، ص ٣٦٧، ح ٩؛ كما في الوسائل، ج ١، باب ٣٦ من أبواب الغسل، ص ٥٢٠، ح ٣؛ والبحار، ج ٨١، باب وجوب غسل الجنابة، ص ٤٠، نقلاً عنه.

ركعة تصلّيها غير متعطّر. ثمّ تدعو بدعاء زين العابدين ــ عليه السلام ــ الذي كان يدعو به في جوف الليل، جالساً مستقبل القبلة. ثمّ تقوم الى صلاة الليل ان كان بقي عليك وقت، و إلا تقتصر على ثلاث ركعات: الوتر وركعتي الفجر، و إلا فالركعتين؛ وتقرأ فيهما ما شئت من السور بقدر سعة الوقت، وان اقتصرت على الفاتحة أجزأك ، ولا تدع الاستغفار في قنوت الوتر. ثمّ تتوجّه الى المسجد؛ فعن الصادق ــ عليه السلام ــ : «من مشى الى المسجد، لم يضع رجلاً على رطب ولايابس إلا سبّحت له الأرض الى الأرضين السابعة.»[١٦]

ولا تدع الصلاة في الجماعة، لاسيّما الصبح والعشاء. فانّ صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بأربع وعشرين درجة، فان كنت تتساهل في مثل هذا الربح، فأيّ فائدة لك في طلب العلم، وانّما ثمرة العلم العمل؟

آداب الدخول الى المسجد :

فاذا سعيت الى المسجد تمشي على سكينة ووقار، وتقول عند خروجك من بيتك: «بسم الله الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني و يسقين، واذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثمّ يحيين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين. ربّ هب لي حكماً، وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، واجعلني من ورثة جنّة النعيم، واغفر لأبي.»[١٧]

فاذا أردت دخول المسجد، فتعاهد نعلك أوّلاً، وتقدّم رجلك اليمنى وتقول: «بسم الله وبالله، ومن الله والى الله، وخير الأسماء كلّها لله؛ توكّلت على الله، ولاحول ولاقوّة إلا بالله. اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وافتح لي أبواب رحمتك وتوبتك، واغلق عنّي أبواب معصيتك، واجعلني من زوّارك وعمّار مساجدك ، وممّن يناجيك في الليل والنهار، ومن

١٦ ــ الوسائل، ج ٣، باب ٤ من أبواب أحكام المساجد، ص ٤٨٢، ح ١، نقلاً عن التهذيب والفقيه وثواب الأعمال.

١٧ ــ الشعراء/ ٧٨ ــ ٨٦، والحديث في عدّة الداعي؛ كما في البحار، ج ٨٤، باب صلوة التحيّة والدعاء، ص ٢٠، ح ٦؛ ومفتاح الجنّات، ج ١، ص ٤٤؛ و مصباح الكفعمي نقلاً عنه.

الذين هم في صلاتهم خاشعون، وادحر عنّي الشيطان الرجيم، وجنود ابليس أجمعين.»[١٨]

فاذا أردت أن تخلع نعليك، تبدأ باليسرى قبل اليمنى بعكس لبسهما وتقول: «بسم الله، الحمد الله الذي رزقني ما أوقّي به قدمي من الأذى. اللّهمّ ثبّتهما على صراطك، ولا تزلّهما عن الصراط السويّ.»[١٩] ثمّ تأتي بركعتي التحيّة للمسجد ان لم يدخل الوقت، و إلا أجزأك الفريضة عنهما.

آداب الفجر:

فاذا تحقّقت طلوع الصبح فتقول: «يافالقه من حيث لاأرى ومخرجه من حيث أرى! صلّ على محمّد وآل محمّد واجعل أوّل يومنا هذا اصلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً.»[٢٠]

ثمّ تأتي بكلمة النوحيّة التي بها سمّي عبداً شكوراً عشر مرّات، وهي: «اللّهمّ انّي أشهدك أنّه ما أصبح بي من نعمة أوعافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لاشريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ حتّى ترضى وبعد الرضا.»[٢١]

ثم تؤذّن قائماً مستقبلاً، رافعاً صوتك متأنياً، واضعاً اصبعيك في أذنيك، واقفاً على الفصول، غير متلفت يميناً ولا شمالاً، ولا متكلّم في أثنائه، مصلّياً على النبيّ ــ صلى الله عليه وآله ــ عند ذكره. ثم تفصل بينه و بين الاقامة بسجدة أو جلسة، وتقول فيهما: «اللّهمّ اجعل قلبي بارّاً، وعيشي قارّاً، ورزقي دارّاً، واجعل لي عند قبر رسولك ــ صلىّ الله عليه وآله ــ مستقرّاً وقراراً.»[٢٢]

ثمّ تدعو بما شئت وتسأل حاجتك، فانّ الدعاء بين الأذان والاقامة لايردّ. ثمّ تقوم الى الاقامة، وتأتي بالآداب المذكورة سوى التأنّي ووضع

١٨ ــ مكارم الأخلاق الباب العاشر، ص ٣٤٤؛ ومصباح الشيخ، ص ٢٩؛ والبحار، ج ٨٤، باب صلاة التحيّة والدعاء، ص ٢٤، ح ١٦.

١٩ ــ مكارم الأخلاق، الباب السادس، ص ١٤٢.

٢٠ ــ مكارم الأخلاق، الباب العاشر، ص ٣٤٥؛ ومصباح الشيخ، باب الآداب بعد الفجر الثاني، ص ١٧٥.

٢١ ــ مكارم الاخلاق، الباب العاشر، ص ٣٢١؛ والفقيه، ج ١، باب فيما يستحبّ من الدعاء في كلّ صباح ومساء، ص ٢٢١، ح ٢؛ كما في الوسائل، ج ٤، باب نبذة ممّا يقال في الصباح والمساء، ص ١٢٣٥، ح ١، نقلاً عنه.

٢٢ ــ مكارم الأخلاق، الباب العاشر، ص ٣٤٦؛ والكافي، ج ٣، باب بدء الأذان و الاقامة، ص ٣٠٨، ح ٣٢؛ والتهذيب، ج ٢، باب في عدد فصول الأذان والاقامة، ص ٦٤، ح ٢٣؛ كما في الوسائل، ج ٤، باب استحباب الدعاء بين الأذان والاقامة، ص ٦٣٤، ح ١، نقلاً عنهما.

الاصبعين في الأذنين ورفع الصوت، فانّه فيها أخفض، وتقول اذا فرغت منها وأنت مستقبل القبلة: «**اللّهمّ اليك توجّهت، ومرضاتك طلبت، وثوابك ابتغيت، وبك آمنت، وعليك توكّلت. اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وافتح مسامع قلبي لذكرك، وثبّتني على دينك ودين نبيّك، ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة؛ انّك أنت الوهّاب.**»[٢٣]

فاذا سمعت أذان المؤذّن، تقطع ما أنت فيه، وتشتغل بالجواب بمثل مايقول، ولك أن تحولق في جواب حيّعلات؛ في الحديث: «**اذا قال ذلك من قلبه دخل الجنة.**»[٢٤] و ينبغي أن تحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمّر بظاهرك و باطنك للاجابة والمسارعة، وتكون مستبشراً بذلك فرحاً، تأسياً بالنبيّ ــ صلىّ الله عليه وآله ــ حيث كان يقول: «**أرحنا يا بلال!**». فاذا أحرم الامام بالفرض، فلا تشتغل إلا بالاقتداء.

هداية في التهيّؤ للصلاة:

فاذا تفرّغت للصلاة، فتحضر قلبك وتفرغه من الوساوس، وتنظر بين يدي من تقوم ومن تناجي، وتستحيي أن تناجي مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات، وتعلم أنّه مطّلع على سريرتك، وناظر الى قلبك، وانّما يتقبّل صلاتك بقدر خشوعك وتواضعك وتضرّعك، وتعبد الله في صلاتك كأنّك تراه، فان لم تكن تراه فانّه يراك. فان لم تحضر قلبك بهذا الحضور لقصور معرفتك بجلال الله تعالى، فتقدّر أنّ رجلاً صالحاً من وجوه أهل بيتك ينظر اليك، ليعلم كيف صلاتك، فعند ذلك تحضر قلبك وتسكن جوارحك، ثمّ ترجع الى نفسك وتقول: ألا تستحين من خالقك ومولاك اذا قدّرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك، وليس بيده ضرّك ولانفعك، خشعت جوارحك وحسنت صلاتك، ثمّ انّك تعلمين أنّه مطّلع عليك ولا تخشعين لعظمته؟ أهوأقلّ عندك من عبد من عباده؟! فما أشدّ طغيانك وجهلك، وما

٢٣ ــ مكارم الأخلاق، الباب العاشر، ص ٣٤٤؛ ومصباح الشيخ، ص ٣٠؛ والبحار، ج ٨٤، باب آداب القيام الى الصلوة، ص ٣٦٥، ح ١٨، نقلاً عنهما.

٢٤ ــ نقل نظيره في المستدرک، ج ١، باب ٣٤، من أبواب الأذان، ص ٢٥٦، عن درراللئالي.

أعظم عدوانك لنفسك فتعالج قلبك بهذه الحيل، فعساه يحضرمعك في صلا تك، فانّه ليس لك من صلا تك إلا ماعقلت، وأمّا ماأتيت به مع الغفلة، فهو الى الاستغفار والتكفير أحوج.

هداية: آداب الصــلاة :

فاذا قمت الى الصلاة تقوم بالوقار والخشوع، واضعاً يديك على فخذيك بازاء ركبتيك، مفرّجاً بين قدميك بقدر ثلاث أصابع منفرجات الى شبر، ناظراً الى موضع سجودك، غير رافع بصرك الى السماء، مخطراً ببالك أنّها صلاة مودّع. ثمّ اقصد أداء فريضة الصبح لله تعالى، وقارن النيّة باحدى التكبيرات السبع الافتتاحيّة واجعلها تحريمة، رافعاً بكلّ منها يديك، مستقبلاً بكفّيك القبلة، ضامّاً أصابعك سوى الابهامين، غير متجاوز بكفّيك أذنيك، مبتدءاً بالتكبير حال ابتداء الرفع منتهياً بانتهائه.

وتأتي بين التكبيرات السبع بالأدعية الثلا ثة، فبعد الثالثة تقول: **«اللّهمّ أنت الملك الحقّ، لا إله إلا أنت، سبحانك، انّي ظلمت نفسي، فاغفرلي ذنبي؛ انّه لايغفر الذنوب إلا أنت.»**[٢٥]

و بعد الخامسة: **«لبّيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس اليك، والمهديّ من هديت، [عبدك وابن عبديك]، لاملجأ [ولامنجا] منك إلا اليك، سبحانك وحنانيك، تباركت وتعاليت، سبحانك ربّ البيت.»**[٢٦]

و بعد السابعة: **«وجّهت وجهي للذي فطرالسموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، حنيفاً مسلماً، وما أنا من المشركين. انّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين؛ لاشريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين.»**[٢٧]

ثمّ تقول: **«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.»** متخافتاً بها، ثمّ اقرأ «الحمد» مرتّلاً، واجهر بها مراعياً للوقوف في مواضعه، محضراً قلبك، متدبّراً معانيها، وتسكت بعدها بقدر نفس. ثمّ تقرأ سورة كذلك، و ينبغي أن يكون

٢٥ ــ التهذيب، ج ٢، باب في كيفيّة الصلاة، ص ٦٧، ح ١٢؛ والكافي، ج ٣، باب افتتاح الصلوة، ص ٣١٠، ح ٧؛ والوسائل، ج ٤، باب استحباب تفريق التكبيرات السبع، ص ٧٢٣، ح ١، نقلاً عنهما.

٢٦ و ٢٧ ــ نفس المصادر.

سورة «النبأ» أو «الدهر» أو «القيامة» أو ماشابهها في الطول، وتسكت بعدها كما تسكت قبلها. ثمّ ترفع يديك كرفعك في السبع، وتقول: «الله أكبر»، ثمّ اركع واضعاً يمناك على ركبتك اليمنى قبل يسراك على اليسرى، مالئاً كفّيك بركبتيك، ملقماً لها بأطراف أصابعك منفرجات، رادّاً لها الى خلف، مستوياً ظهرك، مادّاً عنقك، مغمضاً عينيك أو ناظراً الى ما بين قدميك، ثمّ تقول: **«اللّهمّ لك ركعت، ولك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكّلت وأنت ربّي، خشع لك سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي ومخّي وعصبي وعظامي وما أقلّته قدماي غير مستنكف ولامستكبر ولامستحسر.»**[٢٨]

ثمّ قل: **«سبحان ربّي العظيم وبحمده.»** تقول سبعاً أو خمساً أو ثلاثاً، ثمّ انتصب وتقول **«سمع الله لمن حمده.»** ثمّ تكبّر قائماً، واهو للسجود بخضوع وخشوع، متلقّياً الى الأرض بكفيك قبل ركبتيك، وتجنح في سجودك بيديك، باسطاً كفّيك، مضمومتي الأصابع حيال منكبيك ووجهك، غير واضع شيئاً من جسدك على شيءٍ منه، ممكّناً جبهتك من الأرض، وأفضلها التربة الحسينيّة ــ على صاحبها أفضل التسليمات ــ جاعلاً انفك ثامن مساجدك السبعة مرغماً به ناظراً الى طرفه، ثمّ تقول: **«اللّهمّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكّلت، وأنت ربّي، سجد وجهي للّذي خلقه، وشقّ سمعه وبصره؛ الحمد لله ربّ العالمين، تبارك الله أحسن الخالقين.»**[٢٩]

ثمّ قل: **«سبحان ربّي الأعلى وبحمده.»** تقول سبعاً أو خمساً أو ثلاثاً. ثمّ ارفع رأسك وتكبّر، وتجلس متورّكاً وتقول: **«أستغفر الله ربّي وأتوب اليه.»** ثمّ تقول: **«اللّهمّ اغفر لي وارحمني، وأجرني وادفع عنّي، إني لما أنزلت اليّ من خير فقير، تبارك الله ربّي العالمين.»**[٣٠]

٢٨ ــ الكافي، ج ٣، باب الركوع ومايقال فيه، ص ٣١٩، ح ١؛ والتهذيب، ج ٢، باب في كيفيّة الصلوة، ص ٧٧، ح ٥٧؛ كما في البحار، ج ٨٥، باب الركوع وأحكامه، ص ١١٠؛ والوسائل، ج ٤باب ١ من أبواب الركوع، ص ٩٢٠، ح ١، نقلاً عنهما.

٢٩ ــ الكافي، ج ٣، السجود والتسبيح والدعاء فيه، ص ٣٢١، ح ١؛ والتهذيب، ج ٢، باب في كيفيّة الصلوة، ص ٧٩، ح ٦٣؛ كما في البحار، ج ٨٥، باب السجود وآدابه، ص ١٣٧؛ والوسائل، ج ٤، باب استحباب الدعاء بالمأثور في السجود، ص ٩٥١، ح ١، نقلاً عنهما.

٣٠ ــ نفس المصادر.

ثمّ تكبّر، واسجد السجدة الثانية كالاولى، ثمّ ارفع رأسك وتجلس متورّكاً هنيئة، وهي جلسة الاستراحة. ثمّ قم رافعاً ركبتيك قبل كفّيك، معتمداً عليهما، قائلاً: «بحول الله وقوّته أقوم وأقعد وأركع وأسجد.» واذا انتصبت فاقرأ «الحمد» وسورة كما مرّ في الاولى، وأفضلها «التوحيد». ثمّ تسكت بقدر نفس، ثمّ تكبّر للقنوت وتقنت بـ «كلمات الفرج» رافعاً كفّيك تلقاء وجهك، مستقبلاً ببطنيهما السماء، ناظراً اليهما، ضامّاً أصابعهما ماعدا الابهامين، وتقول بعدها: «اللّهمّ من كان أصبح وأمسى وله ثقة أورجاء غيرك ، فأنت ثقتي ورجائي؛ يا أجود من سئل! و يا أرحم من استرحم! ارحم ضعفي [ومسكنتي] وقلّة حيلتي، وامنن عليّ بالجنّة، وفكّ رقبتي من النار، وعافني في نفسي وفي جميع أموري، برحمتك يا أرحم الراحمين.» [٣١]

ومن أراد التطويل في القنوت، فليضف الى ذلك ماشاء. ثمّ ترفع يديك بالتكبير واركع واسجد السجدتين كمامرّ، ثمّ اجلس للتشهد متورّكاً ناظراً الى حجرك ، وتقول: «بسم الله وبالله وخير الأسماء لله، أشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، وأشهد أنّ ربّي نعم الربّ، وأن محمّداً نعم الرسول. اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وتقبلّ شفاعته في أمّته، وارفع درجته.» [٣٢]

ثمّ تحمد الله مرّتين أو ثلاثاً، والواجب منها الشهادتان والصلاة على النبيّ وآله ــ صلوات الله عليهم ــ .ثمّ سلّم ناوياً به الخروج من الصلاة، فتقول: «السلام عليكم ورحمة الله و بركاته.» قاصداً به الأنبياء والأئمّة والحفظة ــ عليهم السلام ــ، مؤمياً بمؤخّر عينيك الى يمينك. هذا كلّه عن أئمّة الهدى ــ صلوات الله عليهم ــ.

هداية: آداب صلاة الجماعة :

يشترط في امام الصلاة العدالة الظاهرة؛ أي: كونه غير معلوم الفسق،

٣١ ــ مصباح الكفعمي باب في تعقيب صلوة الصبح ص ٦٤؛ ومفتاح الجنات، ج ١، ص ٥٧؛ ومصباح الشيخ، ص ١٧٧؛ كما في البحار، ج ٨٥، باب آخر في القنوتات الطويلة، ص ٢٦٠، نقلاً عنه.

٣٢ ــ التهذيب، ج ٢، باب في كيفيّة الصلوة، ص ٩٩، ح ١٤١؛ والوسائل، ج ٤، باب كيفيّة التشهد، ص ٩٨٩، ح ٢، نقلاً عنه؛ والبحار، ج ٨٥، باب التشهد وأحكامه، ص ٢٩٠، ح ٢٢.

و ينبغي أن يكون أفضل القوم في العلم والقراءة، وأن يسوّي الصفوف أوّلاً، و ينوي الامامة لينال الفضل، فان لم ينو صحّت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء، ونالوا فضل القدوة، وأن يرفع صوته بالأذكار سوى الستّ الافتتاحيّة المستحبة ودعواتها، ولايرفع المأموم صوته إلا قدر مايسمع نفسه، ولايقرأ خلف الامام المرضيّ فانّه حرام، إلا اذا لم يسمع في الجهريّة ولاهمهمة، و يذكر الله في السريّة حال قراءة الامام، ولايتقدّم على الامام في شيء من الأذكار والأفعال، ولا المكان، بل امّا أن يساويه أو يتأخّر عنه، والتأخير أفضل. وان كان واحداً، قام عن يمين الامام؛ ولايقف وحده، بل يدخل الصفّ او يجرّ الى نفسه غيره و يتمّم الخلل؛ في الحديث: **«ما من خطوة أحبّ الى الله من خطوة تمشيها تصل بها صفّاً.»**[٣٣] و يدرك الركعة والفضيلة بادراك الركوع، ويجعله أول صلاته فيتمّ مابقي عليه في أوّلتيه، ان كانتا أخيرتي الامام. وان لحقه في سجدته الأخيرة نال الفضل و يستأنف صلاته. وان كان في التشهد الأخير، يتبعه ناوياً و يقوم من غير تجديد نيّة، ولايخصّ الامام نفسه بالدعاء، فانّه خيانة، ولايقوم من مصلّاه الى أن يتمّ المسبوقون صلاتهم، و يصلّي صلاة أضعف من خلفه، فانّ التخفيف في الجماعة مؤكّد فيه.

هداية:آداب التعقيب بعد الصلاة:

فاذا فرغت من الصلاة، تشرع في التعقيب، فانّه أفضل من الصلاة تنفّلاً، وأبلغ في طلب الرزق من الضرب في البلاد، والأذكار الواردة فيه من أصحاب العصمة ــ سلام الله عليهم ــ كثيرة جدّاً، فليطلب من مظانّها. وأفضلها «تسبيح الزهراء ــ عليها السلام ــ» وهو أفضل من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم، كذا عن الصادق ــ عليه السلام ــ.[٣٤]

واذا وجدت من نفسك كلالاً، فاقطع التعقيب، ولا تكلّفها اكماله من

٣٣ ــ لم نعثر عليه فيما بأيدينا من المآخذ.

٣٤ ــ الكافي، ج ٣، باب التعقيب بعدالصلوة، ص ٣٤٣، ح ١٥؛ والتهذيب، ج ٢، باب في كيفيّة الصلوة، ص ١٠٥، ح ١٦٧؛ وثواب الأعمال، ص ١٩٦، ح ٣؛ و الوسائل، ج ٤، ص ١٠٢٤، ح ٢، نقلاً عنها.

دون ميلها اليه واقبالها عليه، فانّ التوجّه والاقبال روح العبادة والدعآء. وتجلس في مصلاّك بعد فراغك من صلاة الصبح الى أن تطلع الشمس، وان لم تكن مشتغلاً بالتعقيب، فانّه ستر من النار؛ قال بعض العلماء: «وليكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس موزّعة على أربع وظائف: وظيفة في الأذكار والتسبيحات تكرّرها في سبحة، ووظيفة في الدعوات، ووظيفة في قراءة القرآن، ووظيفة في التفكّر في ذنوبك وخطاياك وتقصيرك في عبادة مولاك وتعرّضك لعقابه الأليم وسخطه العظيم.»

وترتّب بتدبيرك أورادك في جميع يومك لتدارك به مافرّط من تقصيرك، وتحذّر به من التعرّض لسخط الله في يومك، فتنوي الخير لجميع المسلمين، وتعزم أن لا تشتغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى، وتفصّل في قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتختار أفضلها، وتتأمّل في تهيّة أسبابها لتشتغل بها. ولا تدع التفكّر في قرب الأجل، وحلول الموت القاطع للأمل، وخروج الأمر من الاختيار، وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار.

هداية: آداب سجدتي الشكر:

فاذا فرغت من التعقيب، فتسجد سجدتي الشكر، وتطيل فيهما، وتفترش ذراعيك، وتلصق صدرك وبطنك بالأرض، وتبالغ في التضرّع والدعاء، وتأتي بالأذكار المرويّة فيهما عن مولانا الكاظم ــ عليه السلام ــ. منها ماروي أنّه كان يقول فيهما بصوت حزين، ودموعه تجري: **«ربّ عصيتك بلساني ولو شئت وعزّتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت وعزّتك لأكمهتني، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزّتك لأصممتني، وعصيتك بيدي ولو شئت وعزّتك لكنعتني، وعصيتك برجلي ولو شئت وعزّتك لجذمتني، وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزّتك لعقمتني، وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ، وليس هذا جزاؤك منّي.»**

ثمّ يقول: «العفو، العفو» ألف مرّة، ثمّ يلصق خدّه الأيمن بالأرض ويقول ثلاث مرّات بصوت حزين: **«بؤت اليك بذنبي، عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي [ذنوبي]، فانّه لايغفر الذنوب غيرك يامولاي.»**

ثمّ يلصق خدّه الأيسر بالأرض و يقول ثلاث مرّات: **«ارحم من أساء واقترف واستكان واعترف.»** [٣٥]

هداية: آداب صدر النهار:

وممّا تعمل به في صدر النهار التصدّق بمهما تيسر وان كان حقيراً، فانّ البلاء لايتخطّاها و يقي الله بها شرّماينزل في ذلك اليوم، وتمسح وجهك بماء الورد، كيلايصيبك في ذلك اليوم بؤس ولافقر، وتأكل احدى وعشرين زبيبة حمراء، لئلاّ تعتل إلا علّة الموت، ثمّ تتغذّى بنيّة التقوّي على العبادة بآدابه وأدعيته؛ بأن تغسل يديك، وتجلس على يسارك جلسة العبد من غير تربّع، وتسمّي وتحمد الله على كلّ لون، بل كلّ اناء، وتقول عند الشروع فيه: **«الحمد لله الذي يطعم ولايطعم، ويجير ولايجار عليه، ويستغني ويفتقر اليه. اللّهمّ لك الحمد على ما رزقتنا من طعام وادام في يسر وعافية من غير كدّمنّا ولامشقّة. بسم الله خير الأسماء [بسم الله] ربّ الأرض والسماء، بسم الله الذي لايضرّمع اسمه شيء [في الأرض ولا في السماء]، وهو السميع العليم. اللّهمّ أسعدني في مطعمي هذا بخيره، وأعذني من شرّه، وأمتعني بنفعه، وسلّمني من ضرّه.»** [٣٦]

وتكرّر حمدا الله سبحانه في أثناء الأكل، وتبدأ بالملح وتختم به، أو بالخلّ، ولا تأكل اللحم في اليوم الواحد مرّتين، وتأكله في كلّ ثلاثة أيّام، ولا تتركه أربعين يوماً، ولاتهنك العظم، بل تبقي فيه بقيّة للجنّ، وتطيل الجلوس على المائدة، وتصغّر اللقم، وتجوّد المضغ، وتقلّل النظر الى وجوه الجلساء، وتلعق الأصابع والقصعة، وتقول عند الفراغ: **«الحمد لله الذي أطعمنا في جائعين، وسقانا في ظمآنين، وكسانا في عارين، وهدانا في ضالّين، وحملنا في راجلين، وآوانا في ضاحين، وأخدمنا**

٣٥ ــ الكافي، ج ٣، باب السجود، ص ٣٢٦، ح ١٩؛ والتهذيب، ج ٢، باب في كيفيّة الصلوة، ص ١١١ ح ١٨٦؛ والوسائل، ج ٤، باب استحباب الدعاء في سجدة الشكر، ص ١٠٧٩، ح ٥، نقلاً عنها. لكنّ المؤلّف غيّر عبارة الراوي في ارجاع الضمائر.

٣٦ ــ مكارم الأخلاق، باب السابع، ص ١٦٦؛ والبحار، ج ٦٦، باب التسمية والتحميد والدعاء، ص ٣٨١، نقلاً عنه.

في عانين، وفضّلنا على كثير من العالمين.»[٣٧]

ثـمّ تخلّل وتـقـذف مـاخرج من بين الاسنان بالخلاف، وتبتلع ماخرج باللسان.

وتـأكل مايشتهيه أهلك، لاماتشتهيه أنت دونهم. واذا شربت تقول عند الشروع: «**الحمد لله منزل الماء من السماء، ومصرّف الأمر كيف يشاء، بسم الله خير الأسما.**»[٣٨]

وتقول بعده: «**ألحمد لله الّذي سقانا ماءً عذباً ولم يجعله أُجاجاً بذنوبي.**»[٣٩]

ثـمّ تـذكـر الحسين ـــ عليه السلام ـــ وتلعن قاتليه. وان شربت بثلاث أنفـاس تحمـد الله في كـلّ نـفس، وجبت لك الجنّة، إلا أن يكون المناول حرّاً، فبنفس واحد. ولا تكثر من شرب الماء، فانّه مادّة كلّ داء، ولا تشرب عبّاً ولا من جانب العروة ولاموضع الكسر، بل تشرب مصّاً ومن شفتك الوطي وقائماً بالنهار وجالساً بالليل.

هداية: آداب مابقي من الاوقات من صدر النهار:

ثـمّ مـا فضل ممّا ذكر من أوقاتك، فلك فيها أربع حالات على ماذكره بعض العلماء:

الحالة الاولى:

وهـي الأفضل، أن تصرفه الى طلب العلم النافع في الدين دون الفضول الذي أكبّ الناس عليه وسمّوه علماً، والعلم النافع مايزيد في خوفك من الله، و يـزيـد في بـصيرتك بعيوب نفسك، و يزيد في معرفتك بعبادة ربّك، و يقلّل من رغـبتك في الدنيا، و يزيد في رغبتك في الآخرة، و يفتح بصيرتك بآفات أعمالك

٣٧ ـــ نفس المصادر؛ وأيضاً في المحاسن، كتاب المآكل؛ والكافي، ج ٦، بأدنى تفاوت؛ والوسائل، ج ١٦ ص ٤٨٦، ح ١، نقلاً عنها.

٣٨ ـــ مكارم الأخلاق، باب السابع، ص ١٧٤؛ والبحار، ج ٦٦، باب آداب الشرب، ص ٤٧٥، نقلاً عنه.

٣٩ ـــ نفس المصادر.

حتـى تحترز منها، و يطلعك على مكائد الشيطان وغروره وكيفيّة تلبيسه على العلمآء السوء، حتّى عرّضهم لمقت الله وسخطه؛ حيث أكلوا الدنيا بالدين، واتّخذوا العلم وسيلة الى أخذ أموال السلاطين، وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين، وصرف همّتهم طول نهارهم الى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق، واضطرّهم بذلك الى المراءاة والمساراة والمناقشة والمباهاة.

وقد جمع العلماء ــ رحمهم الله ــ في هذا الفنّ من العلم النافع كتباً، فان كنت من أهله، فحصّله واعمل به، ثمّ علّمه وادع اليه. فمن علم ذلك وعمل به ودعا اليه، فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

فاذا فرغت من ذلك كلّه، وفرغت من اصلاح نفسك ظاهراً و باطناً، وفضل شيء من أوقاتك، فلابأس أن تشتغل بعلم المذهب من الفقه، لتعرف به الفروع النادرة في العبادات، وطريق التوسّط بين الخلق في الخصومات عند اكبابهم على الشهوات، فذلك أيضاً بعد الفراغ من هذه المهمّات من جملة فروض الكفايات كما يأتي.

فان دعتك نفسك الى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار اشتغالاً بذلك، فاعلم أنّ الشيطان قد دسّ الى قلبك الداء الدفين، وهو حبّ المال والجاه؛ فايّاك أن تغترّ به! فتكون ضحكة له، يهلكك ثمّ يسخر بك. وان جرّبت نفسك مدّة في الأوراد والعبادات، فكانت لا تستقلّها كسلاً عنها، ولكن إن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع، ولم ترد به الا وجه الله، فدلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحّت النيّة، ولكنّ الشأن في صحّة النيّة، فهي معدن غرور الجهّال ومزلّة أقدام الرجال.

الحالة الثانية:

أن لا تقدر على تحصيل العلم، ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والقرائات والتسبيحات والصلوات، فذلك من درجات العابدين وسِيَرِ الصالحين، وتكون بذلك أيضاً إن شاء الله تعالى من الفائزين.

الحالة الثالثة:

أن تشتغل بما يصل به خير الى المسلمين، و يدخل به سرور على قلوب المؤمنين، أو يتيسّر به الأعمال الصالحة للصالحين؛ كخدمة الفقهاء والعلماء من أهل الدين، والتردّد في أشغالهم، والسعي في اطعام الفقراء والمساكين، أوالتردّد مثلاً على المرضى بالعيادة، وعلى الجنائز بالتشييع. فكلّ ذلك أفضل من النوافل، فانّ هذه عبادات وفيها رفق للمسلمين.

الحالة الرابعة:

أن لا تقوى على ذلك واشتغلت بحاجاتك اكتساباً على نفسك أوعلى عيالك، وقد سلم المسلمون منك، وأمنوا من لسانك و يدك ، وسلم منك دينك اذلم ترتكب معصية، فتنال بذلك درجة أصحاب اليمين؛ اذ لم تمكّن من الترقي الى مقامات السابقين، وهذا أقلّ الدرجات في مقامات الدين، وما بعد هذا فهي مراتع الشياطين؛ وذلك أن تشتغل ــ والعياذ بالله ــ بما يهدم دينك، أو تؤذي عبداً من عباد الله، فهذه رتبة الهالكين. فايّاك أن تكون في هذه الطبقة!

واعلم أنّ العبد في حقّ دينه امّا سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي، أو رابح وهو المتطوّع بالقربات والنوافل، أو خاسر وهو المقصّر عن اللوازم. فان لم تقدر أن تكون رابحاً، فاجتهد أن تكون سالماً، وايّاك أن تكون خاسراً!

والعبد في حقّ سائر العباد له ثلاث درجات:

الاولى :

أن ينزل في حقّهم منزلة الكرام البررة من الملائكة، وهو أن يسعى في أغراضهم رفقاً بهم، وإدخالاً للسرور على قلوبهم.

الثانية :

أن ينزل منزلة البهائم والجمادات في حقّهم، فلا ينيلهم خيره، ولكن يكفّ عنهم شرّه.

الثالثة:

أن ينزل منزلة العقارب والحيّات والسباع الضاريات، لايرجى خيره و يتّقى شرّه. فان لم تقدر أن تلحق بأفق الملائكة، فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات الى مراتب العقارب والحيّات.

فان رضيت لنفسك النزول من أعلى عليّين، فلا ترض لها بالهويّ في أسفل السافلين، فلعلّك أن تنجو كفافاً، لاعليك ولالك. فعليك في بياض نهارك أن لا تشتغل إلا بما ينفعك في معادك أو معاشك، الذي لا تستغني عن الاستعانة به على معادك . فان عجزت عن القيام بحقّ دينك مع مخالطة الناس، وكنت لا تسلم، فالعزلة أولى بك، فعليك بها؛ ففيها السلامة. فان كانت الوساوس في العزلة تجاذبك الى مالايرضاه الله تعالى، ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات، فعليك بالنوم، فهو أحسن أحوالك وأحوالنا اذ عجزنا عن الغنيمة، فرضينا بالسلامة في الهزيمة. فواحسرتاه على من سلامة حياته في تعطيل حياته؛ اذ النوم أخ الموت، وهو تعطيل للحياة والتحاق بالجمادات.

هداية: آداب صلاة الظهر:

ينبغي أن تستعدّ قبل الزوال لصلاة الظهر. فتقدّم القيلولة ان كان لك قيام بالليل وسهر في الخير، فانّ فيها معونة على القيام والصيام. والقيلولة من غير قيام كالتسحّر من غير صيام بالنهار. ثمّ تجتهد أن تستيقظ قبل الزوال وتتوضّأ، وتحضر المسجد وتصلّي التحيّة، وتنتظر الوقت؛ ففي الحديث: «**اذا زالت الشمس، فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان، واستجيب الدعاء، فطوبى لمن رفع له عمل صالح.**» [٤٠]

وفي رواية: «**أنّها الساعة التي يؤتى فيها بجهنّم يوم القيامة، فما من مؤمن يوافق تلك الساعة أن يكون ساجداً أو راكعاً أو قائماً، إلا حرّم الله جسده على النار.**» [٤١]

٤٠ ـــ الفقيه، ج ١، باب في فضل الصلوة، ص ١٣٥، ح ١٢؛ والوسائل، ج ٣، باب ١٢ من أبواب المواقيت، ص ١٢١، ح ٢، نقلاً عنه؛ كما في فلاح السائل، الفصل السادس عشر، ص ٩٦؛ والبحار، ج ٨٧، باب نوافل الزوال وتعقيبها، ص ٥٥، ح ٨، نقلاً عنه.

٤١ ـــ لم نجده في المآخذ.

و ينبغي القيام الى الصلاة في أوّل وقتها، فريضة كانت أو نافلة، إلا ماastثني؛ فانّ لأوّل الوقت فضلاً على آخره كفضل الآخرة على الدنيا، وأوّل الوقت رضوان الله، وآخره عفو الله. وأوّل ماتفعله عند تحقّق الزوال أن تقول: **«سبحان الله، ولا اله إلا الله، والحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليّ من الذلّ، وكبّره تكبيراً.»** [٤٢]

ثمّ بادر الى الوضوء، ثمّ تشرع في نافلة الزوال وهي الثمان الركعات، المسماة بصلاة الأوّابين، وتقول بعد كلّ ركعتين منها: **«اللّهمّ انّي ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي، وخذ الى الخير بناصيتي، واجعل الايمان منتهى رضاي، وبارك لي فيما قسمت لي، وبلّغني برحمتك كلّ الذي أرجو منك، واجعل لي ودّاً وسروراً للمؤمنين، وعهداً عندك .»** [٤٣]

وتصلّي الأخيرتين منها بين الأذانين، لتفصّل بهما بينهما، وتقول بعد الاقامة: **«اللّهمّ ربّ هذه الدعوة التامّة والصلاة القائمة، بلّغ محمّداً ـ صلى الله عليه وآله ـ الدرجة والوسيلة، والفضل والفضيلة؛ بالله أستفتح، وبالله أستنجح، وبمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ أتوجّه. اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلني بهم عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقرّبين.»** [٤٤]

ثمّ اشتغل بصلاة الظهر راعياً ماراعيته في صلاة الصبح من الأعمال، وخافت في القراءة ماعدا «البسملة». وتقرأ في الركعة الأولى سورة «الأعلى» أو «الشمس» أو ماشابههما في الطول، وفي الثانية «التوحيد». وانهض من التشهّد الأوّل آتياً بما مرّ عند نهوضك الى ثانية الصبح، واقرأ «الحمد»، أو سبّح «التسبيحات الأربع» أو ثلاثاً منها لاسيّما الأوّل، فان ثلّثتها وأضفت اليها الاستغفار فهو أفضل، وأقلّه «سبحان الله» ثلاثاً. ثمّ تكبّر للركوع رافعاً يديك كما مرّ، واركع واسجد على قياس مامرّ. ثمّ انهض وآت بركعة أخرى كذلك.

٤٢ ــ الفقيه، ج ١، باب ركودالشمس، ص ١٤٥، ح ١؛ والوسائل، ج ٣، باب ١٢ من أبواب المواقيت، ص ١٢١، ح ١، نقلاً عنه؛ ومصباح الشيخ، ص ٢٨؛ وفلاح السائل، الفصل السادس عشر، ص ٩٦.

٤٣ ــ فلاح السائل، الفصل السابع عشر، ص ١٣٧؛ ومصباح الشيخ، ص ٣٦؛ والبحار، ج ٨٧، باب نوافل الزوال وتعقيبها، ص ٦٣، ح ١٨، نقلاً عنهما؛ ومفتاح الجنّات، ج ١، ص ٥٠.

٤٤ ــ فلاح السائل، الفصل الثامن عشر، ص ١٥٥؛ ومصباح الشيخ، ص ٢٧؛ ومفتاح الجنّات، ج ١، ص ٥٢.

ثمّ تشهّد وتسلّم وتعقّب بالتعقيبات العامّة والمختصّة بالظهر كما هي مذكورة في مواضعها. ثمّ تسجد سجدتي الشكر، وتقول فيهما ما مرّ في الصبح أو ذكراً آخر.

ثمّ تقوم الى ثمان ركعات العصر. ثم تؤذّن وتقيم، وتفصّل بينهما بسجدة، تدعوفيها بما مرّ. ثمّ اشتغل بصلاة العصر مراعياً جميع الآداب السابقة، وتقرأ في الأولى مثل «الفتح» و «التكاثر»، وفي الثانية «التوحيد»، وتأتي بالتعقيبين والسجدتين، وآخر ماتدعو به أن تقول: **«اللّهمّ انّي وجّهت وجهي اليك، وأقبلت بدعائي عليك، راجياً اجابتك، طامعاً في مغفرتك، طالباً ما وأيت به على نفسك، مستنجزاً**[٤٥] **وعدك؛ اذ تقول: «أدعوني أستجب الكم» فصلّ على محمّد وآل محمّد، وأقبل اليّ بوجهك، واغفرلي وارحمني، واستجب دعائي يا اله العالمين.»**[٤٦]

هداية في تنظيم الأوقات:

و ينبغي أن لا تكون أوقاتك مهملة، فتشتغل في كلّ وقت بما اتّفق كيف اتّفق، بل ينبغي أن تحاسب نفسك، وترتّب وظائفك في نهارك وليلك. لكلّ وقت شغلاً لا تتعدّاه، ولا تودع فيه سواه تظهر بركة الأوقات. فأمّا من ترك وقته مهملاً سدى اهمال البهائم، لايدري بماذا يشتغل في كلّ وقت، فتنقضي أكثر أوقاته ضايعة. وأوقاتك عمرك، وعمرك رأس مالك، وعليه تجارتك، و به وصولك الى نعيم الأبديّ في جوار الله تعالى. فكلّ نفس من أنفاسك جوهر لاقيمة له؛ اذ لابدل له، فاذا فات فلا عود له. فلا تكن كالحمق، في مال يزيد وعمر ينقص، فلا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل، فانّهما رفيقاك يصحبانك في القبر حيث يتخلّف عنك أهلك ومالك و ولدك وأصدقائك

هداية: آداب المغرب:

ثمّ اذا اصفرّت الشمس فتجهد أن تعود الى المسجد قبل الغروب،

٤٥ ــ ح. ل: «متنجزاً».

٤٦ ــ فلاح السائل، الفصل التاسع عشر، ص ١٨٥؛ و مصباح الكفعمي، باب في تعقيب صلاة العصر، ص ٣٧؛ والبحار، ج ٨٦، باب ساير ما يستحبّ عقيب كلّ صلاة، ص ١٧، ح ١٣.

وتشتغل بالتسبيح والاستغفار، فانّ فضل هذا الوقت كفضل ماقبل الطلوع؛ قال الله تعالى: «وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.»[٤٧]

فاذا تحقّقت بدخول الوقت، أتيت بـ «الكلمة النوحية» عشر مرّات كما مرّت، وتبادر الى الصلاة، فانّ وقت فضيلتها ضيّق، وتفصّل بين أذانيها بسكتة أو جلسة تدعوفيها. ثمّ افتتح الصلاة مراعياً للآداب السالفة، وتختار من السور ماقرأته في العصر، وتأتي بعدها بتسبيح الزهراء ــ عليها السلام ــ، وتقوم الى أربع ركعات النافلة، فانّ وقتها ضيّق، فان أحببت التطويل في التعقيب أتيت به بعدها.

فاذا تحقّقت ذهاب الشفق المغربي، فينبغي أن تبادر الى الأذان والاقامة آتياً بالأدعية قبل الاقامة وبعدها. ثمّ اشرع في العشاء مفتتحاً داعياً كما مرّ، وتقرأ فيها ما قرأته في الظهر، وتطيل القنوت والتعقيب، لأنّك في سعة من الوقت، إلا اذا كنت اماماً، فلا تطيل في القنوت. ثمّ تسجد سجدتي الشكر، وتبالغ فيهما بالدعاء والتضرع، وتأتي بالأذكار المرويّة فيهما. ثمّ تصلّي ركعتين الوتيرة جالساً، وتقرأ في الاُولى «الملك» أو «الواقعة»، وفي الثانية «التوحيد». ثمّ تقرأ الآيتين من آخر «البقرة»؛ في الحديث: «[انّهما] من كنوز الجنّة كتبها الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق...؛ من قرأهما بعد العشاء الآخرة، أجزأتاه عن قيام الليل»[٤٨]

وفي رواية: «من قرأهما في ليلة كفتاه.»[٤٩]

هداية: آداب النوم:

فاذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبلاً للقبلة، ونم على يمينك كما يضطجع الميّت في لحده.

واعلم أنّ النوم مثل الموت، والتيقظ مثل البعث، فلعلّ الله يقبض

٤٧ ــ ق/ ٣٩.

٤٨ ــ راجع الدرالمنثور وأنوار التنزيل والكشاف، ذيل آيتين من آخر سورة البقره.

٤٩ ــ مجمع البيان، ذيل آخر آية من سورة البقرة؛ وصحيح البخاري، الجزء السادس، باب فضل البقرة، ص ٢٣١؛ وسنن الترمذي، الجزء الرابع، باب ماجاء في آخر سورة البقرة، ص ٤٤؛ والدرالمنثور، الجزء الأول، ص ٣٧٨، نقلاً عنهما.

روحك في ليلتك، فكن مستعداً للقائة بأن تنام على طهارة؛ قال الصادق ــ عليه السلام ــ: «من تطهر ثمّ آوى الى فراشه، بات وفراشه كمسجده.» [٥٠]

وتكون وصيتك مكتوبة تحت وسادتك، وتنام تائباً عن الذنوب مستغفراً، عازماً على أن لا تعود الى معصية، واعزم على الخير لجميع المسلمين ان بعثك الله تعالى، وتذكر أنّك مضطجع في اللحد كذلك وحيداً فريداً، ليس معك إلا عملك، ولا تجزى إلا بسعيك، ولا تستجلب النوم تكلّفاً بتمهيد الفرش الوطيئة، فانّ النوم تعطيل للحياة، إلا اذا كانت يقظتك و بالاً عليك، ونومك سلامة لدينك.

واعلم أنّ الليل والنهار أربع وعشرون ساعة. فلا يكوننّ نومك بالليل والنهار اكثر من ثماني ساعات، فيكفيك ان عشت ستّين سنة أن تضيّع منها عشرين سنة، وهو الثلث. وتعدّ عند النوم سواكك وطهورك ، وتعزم على قيام الليل أوعلى القيام قبل الصبح، فانّ فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة الصلاة في آخر الليل، وفي الصحيح: «ليس من عبد إلا وهويوقظ في كلّ ليلة مرّة أومرّتين، فان قام كان ذلك، وإلا فخج الشيطان فبال في أذنه. أولا يرى أحدكم أنّه اذا قام ولم يكن ذلك عنه، قام وهو متخثّر ثقيل كسلان؟» [٥١] قوله: «فخج الشيطان» بالخاء المعجمة والجيم نوع من المشي رديء، وهو أن يتقارب صدر القدمين و يتباعد العقبان، وهو كناية عن سوء الجيئة ورداءتها، كما أن البول في الاذن كناية عن تلاعب الشيطان به.

وفي الصحيح عن الصادق ــ عليه السلام ــ: «انّ في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلّي ويدعوالله فيها إلا استجاب له في كلّ ليلة.» قيل: أصلحك الله فأيّة ساعة هي من الليل؟ قال: «اذا مضى نصف الليل [الى ثلث الباقي].» [٥٢]

٥٠ ــ الفقيه، ج ١، باب مايقول الرجل اذا آوى الى فراشه، ص ٢٩٦، ح ١؛ و ثواب الأعمال، ص ٣٥؛ ومكارم الأخلاق، باب العاشر، ص ٣٣٣؛ والبحار، ج ٧٦، باب فضل الطهارة عندالنوم، ص ١٨٢، ح ٣، و ٦، نقلاً عنهما.

٥١ ــ الفقيه، ج ١، باب في وقت صلاة الليل، ص ٣٠٣، ح ٨؛ والمحاسن، كتاب عقاب الأعمال، ص ٨٦؛ والبحار، ج ٨٧، باب أصناف الناس في القيام عن فرشهم، ص ١٦٩، ح ٢، نقلاً عنه.

٥٢ ــ الكافي، ج ٢، باب الأوقات والحالات التي ترجى فيها الاجابة، ص ٤٧٨، ح ١٠، وج ٣، باب صلوة

←

وفي الصحيح عنه ــ عليه السلام ــ: «كان في وصية رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ لعليّ ــ عليه السلام ــ: وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل.» [٥٣]

والأخبار في فضلها كثيرة جداً.

وتقول عند منامك: «باسمك اللهمَّ أحيي وباسمك أموت» [٥٤]

ثم تقول: «اللّهمّ انّي أسلمت نفسي اليك، ووجّهت وجهي اليك، وفوّضت أمري اليك، وألجأت ظهري اليك، وتوكلّت عليك رهبة منك ورغبة اليك، لاملجأ ولامنجامنك إلااليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، و برسولك الذي أرسلت». [٥٥]

ثمّ تسبّح تسبيح الزهراء ــ عليها السلام ــ، وتقرأ «آية الكرسي»؛ في الحديث: «من قرأها اذا أخذ مضجعه، آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله.» [٥٦]

وآخر الكهف: «قل انّما أنا بشر مثلكم ــ الآية.» [٥٧]؛ في الحديث: «من قرأ هذه الآية عند منامه، سطع له نور الى المسجد الحرام حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له حتّى يصبح.» [٥٨]

وفي رواية: «مامن عبد يقرأ آخر الكهف حين ينام، إلا استيقظ في الساعة التي

النوافل، ص ٤٤٧، ح ١٩؛ ومكارم الأخلاق، باب العاشر، ص ٣١٦؛ والبحار، ج ٩٣، باب الأوقات التي يرجى فيها الاجابة، ص ٣٤٥، نقلاً عنه.

٥٣ ــ الفقيه، ج ١، باب صلاة الليل، ص ٣٠٧، ح ١؛ والوسائل، ج ٣، باب ٢٥ من أبواب أعداد الفرائض ونوافلها، ص ٦٧، ح ٥؛ والبحار، ج ٨٧، باب فضل صلاة الليل، ص ١٥٧، ح ٤٢، وص ١٦٢، ح ٥٤.

٥٤ ــ الكافي، ج ٢، باب الدعاء عند النوم والانتباه، ص ٥٣٩، ح ١٦؛ والفقيه، ج ١، باب مايقول الرجل اذا استيقظ من النوم، ص ٣٠٤؛ والبحار، ج ٨٧، باب آداب النوم والانتباه، ص ١٧٣، ح ٤، نقلاً عنه.

٥٥ ــ الفقيه، ج ١، باب مايقول الرجل اذاآوى الى فراشه، ص ٢٩٦، ح ٢؛ ومكارم الأخلاق، باب العاشر، ص ٣٣٣؛ والبحار، ج ٧٦، باب القرائة والدعاء عندالنوم والانتباه، ص ١٩٥، ح ١٢، نقلاً عنه.

٥٦ ــ مكارم الأخلاق، باب العاشر، ص ٣٣٤؛ والبحار، ج ٧٦، باب القرائة والدعاء عند النوم والانتباه، ص ١٩٦، نقلاً عنه.

٥٧ ــ الكهف / ١١٠.

٥٨ ــ الفقيه، ج ١، باب ما يقول الرجل اذا آوى الى فراشه، ص ٢٩٧، ح ٦؛ وفلاح السائل، الفصل الثلاثون، ص ٢٨٢؛ والبحار، ج ٧٦، باب القرائة والدعاء عندالنوم والانتباه، ص ٢١٢، نقلاً عنه.

يريد.» [٥٩]

أقول: وهذا من المجرّبات التي لاشكّ فيها. وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة، فمن فعل ذلك، عرج بروحه الى العرش، وكتب مصلّياً إلى أن يستيقظ. فان لم تكن على طهارة و بدا لك ذلك، تيمّم بغبار فراشك، فانّه لايخلوا من فضيلة، وان وجدالماء.

هداية:

فاذا استيقظت فارجع الى ماعرفته أوّلاً، وداوم على هذا الترتيب بقيّة عمرك ، فان شقّ عليك المداومة، فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظاراً للشفاء. وتفكّر في قصر عمرك وان عشت مائة سنة، بالاضافة الى مقامك في الدار الآخرة، وهي أبد الآباد. وتأمّل أنّك كيف تتحمّل المشقة والذلّ في طلب الدنيا شهراً وسنة رجاء أن تستريح بها عشر سنين مثلاً، فكيف لا تتحمّل ذلك أيّاماً قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد؟ ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك، وقدّر قرب الموت، وقل في نفسك: انّي أتحمّل المشقّة اليوم، فلعلّي أموت غداً، فانّ الموت لايهجم في وقت مخصوص وسنّ مخصوص وحال مخصوص ولابدّ من هجومه، والاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا. وانّك تعلم أنّك لا تبقى فيها إلا مدّة يسيرة، ولعلّه لم يبق من أجلك إلا نفس أو يوم. وقرّر هذا على قلبك كلّ يوم وكلّف نفسك الصبر على طاعة الله يوماً يوماً، فانّك لو قدّرت البقاء خمسين سنة، وألزمتها الصبر، لنفرت واستصعبت عليك. فان فعلت ذلك، فرحت عند الموت فرحاً لاآخر له، وان سوّفت وتساهلت جاءك الموت في وقت لاتحتسبه، وتحسّرت تحسّراً لاآخر له. «وعند الصباح تحمد القوم السرى» [٦٠] **«ولتعلمنّ نبأه بعد حين»**. [٦١]

٥٩ ــ الكافي، ج ٢، باب الدعاء عندالنوم والانتباه، ص ٥٤٠، ح ١٧؛ و الفقيه، ج ١، باب ما يقول الرجل اذا آوى الى فراشه، ص ٢٩٨، ح ٧؛ و مكارم الأخلاق، باب العاشر، ص ٣٣٧؛ والبحار، ج ٧٦، باب القرائة والدعاء عندالنوم و الانتباه، ص ٢٠٢، ح ٢٠، نقلاً عنه.

٦٠ ــ مثل مشهور.

٦١ ــ ص /٨٨.

هداية: آداب الجمعة :

اعلم أنّ الجمعة عيد المؤمنين، وهويوم شريف؛ خص الله به هذه الأمّة، وفرض الجماعة في صلاتة تأليفاً للقلوب وتنظيفاً عن الذنوب، وان كان أكثر المؤمنين عن هذه الفريضة العظيمة في هذا الزمان لفي ضلال مبين. وفيه ساعة مبهمة، لايوافيها عبد يسأل الله تعالى فيها حاجة إلا أعطاه، فينبغي أن تستعدّ لها يوم الخميس بتنظيف الثياب و بكثرة التسبيح والاستغفار عشيّة الخميس.

فاذا طلع عليك الفجر، تبكّر الى المسجد بعد حلق الرأس وقصّ الأظفار وأخذ الشارب، والتجنّب عن كلّ ماينفر، والغسل والتزيّن بالثياب البيض، فانّها أحبّ الثياب الى الله، والتطيّب بأطيب ماعندك ، سعياً على سكينة ووقار، قائلاً: **«اللّهمّ من تهيّأ وتعبّأ وأعدّ واستعدّ لوفادة الى مخلوق رجاء رفده وطلبُ نيله وجوائزه وفواضله ونوافله، فاليك ياسيّدى وفادتي وتهيئتي و تعبئتي واعدادي واستعدادي رجاء رفدك وطلب نائلك وجوائزك ونوافلك، فلا تخيّب اليوم رجائي؛ يا من لايخيب عليه سائل، ولاينقصه نائل! فانّي لم آتك اليوم بعمل صالح قدّمته، ولاشفاعة مخلوق رجوته، ولكن أتيتك مقرّاً بالظلم والاسائة الى نفسي، لاحجّة لي ولاعذر، فأسألك ياربّ أن تعطيني مسألتي، وتقلبني برغبتي، ولا تردّني مجبوهاً ولاخائباً، ياعظيم ياعظيم ياعظيم، لا اله إلا أنت، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وارزقني خيرهذا اليوم الذي شرّفته وعظّمته، تغسلني فيه عن جميع ذنوبي وخطاياي، وزدني من فضلك انّك أنت الوهّاب.»** [٦٢]

واعلم أنّ الناس يتسابقون الى الجنّة بقدر سبقهم الى الجمعة ثمّ اذا دخلت الجامع فاطلب الصفّ الأوّل، فان اجتمع الناس فلا تتخطّ رقابهم، ولا تمرّ بين أيديهم، واجلس بقرب حائط أو أسطوانة حتّى لايمرّوا بين يديك، ولا تقعد حتّى تصلّي التحيّة، وتنفّل بعشرين ركعة زيادة على الأيّام الاخر

٦٢ ــ لعلّه (ره) لفّق هذا الدعاء من أدعية شتّى؛ لأنّ ما نقله بهذه الكيفية لم يوجد في المآخذ، وماورد من دعاء يوم الجمعة مغاير كثيراً لهذا. وأمّا أصل الدعاء فهو في مصباح المتهجد، ص ٢٥٠؛ والبحار، ج ٨٩، باب أعمال يوم الجمعة وآدابه ووظائفه، ص ٣٢٩، ح ٢، نقلاً عنه، وغيرها.

بأربع ركعات، وتبالغ في الدعاء وتلاوة القرآن والخضوع، ومهما خرج الامام تقطع الصلاة والكلام، وتشتغل بجواب المؤذّن، ثمّ باستماع الخطبة والايقاظ بها، ودع الكلام رأسا في الخطبة؛ ففي الخبر: «**أنّ من قال لصاحبه والامام يخطب انصت أو صه فقد لغى، ومن لغى فلا جمعة له.**»[٦٣]

لأنّ قوله «أنصت» أو «صه» كلام، فينبغي أن ينهي غيره بالاشارة لا باللفظ. ثمّ اقتد بالامام كما سبق، فاذا فرغت وسلّمت فتشتغل بالتعقيب والأذكار المروية، وتلازم المسجد الى المغرب أو الى العصر، فتكون حسن المراقبة للساعة الشريفة، فانّها مبهمة في جميع اليوم، فعساك أن تدركها وأنت خاشع لله. ولاتحضر في الجامع الحلق ولامجالس القصّاص، بل مجلس العلم النافع، وهو الذي يزيد في خوفك من الله، و ينقص من رغبتك في الدنيا. فكلّ علم لايدعوك من الدنيا الى الآخرة، فالجهل أعود عليك منه، فاستعذ بالله من علم لاينفع. وتكثّر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الاقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس الى الصلاة، فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الأوقات. وتجتهد أن تتصدّق في هذا اليوم بماتقدر عليه وان قلّ، وتجعل هذا اليوم من الأسبوع خاصّاً لآخرتك، فعساه أن يكون كفّارة لبقيّة الأسبوع.

هداية في الصوم:

وأمّا الصيام، فلاينبغي أن تقتصر منه على صوم رمضان، فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفراديس، فتتحسّر اذا نظرت الى الصائمين، كما تنظر في الدنيا الى الكوكب الدريّ، وهم في أعلى علّيين. فمن الأيّام الفاذّة المتأكّدة صيامها: أوّل خميس من كلّ شهر وآخر خميس منه، وأوّل أربعاء في العشر الثاني، فانّها تعدل صوم الدهر، وتذهب بوسوسة الصدر،

٦٣ ــ مركب من خبرين: الأول ماورد في حديث المناهي كما نقله الصدوق في الفقيه، ج ١، باب جمل من مناهي النبي ــ صلى الله عليه وآله، عن النبي ــ صلّى الله عليه وآله ــ؛ وأخرجه العاملي في الوسائل ج ٥، باب ١٤ من أبواب صلوة الجمعة، ص ٣٠، ج ٤ نقلاً عنه؛ والثاني ما نقله الشهيد الثاني في رسالة الجمعة، والشيخ النوري (ره) في المستدرک، ج.١، باب ١٢ من أبواب صلوة الجمعة، ص ٤٠٩، ح ٦.

وهـي جميع ماجرت به السنة في الصوم، وعليها قبض رسول الله ــ صلّى الله عليه وآلـه ــ. فـان فاتتك تقضيها، فان لم تفعل تصدّق في كلّ يوم بمدّ من طعام. ومن التطوّع صيام «أوّل ذي الحجة» و يوم «الغدير» و«دحوالأرض»، فتعدل كلّ منها صوم ستّين شهراً، والأوّل الى تمام التسع صوم الدهر، و يوم «المولد» و «المبعث»، وهما مع الآخرين هي الأربعة التي يصام فيهنّ. ومنه «رجب» و «شعبان» أو ماتيسّر منها، فانّ رجب شهر أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ، وشعبان شهر رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ، وانّ رمضان شهر الله، وصوم «عاشوراء» على وجه الحزن دون الفضل والتبرّك .

هداية في حقيقة الصوم :

لا تظنّنّ اذا صمت أنّ الصوم هوترك الطعام والشراب والوقاع؛ ففي الحديث: **«كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.»** [٦٤]

بل تمام الصيام بكفّ الجوارح كلّها عمّا كره الله تعالى، بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر الى المكاره، واللسان عن النطق بما لايعنيك، والأذن عن الاستماع الى ماحرّم الله تعالى، فانّ المستمع شريك القائل. وكذلك تكفّ الجوارح كما تكفّ البطن والفرج؛ قال الامام الصادق ــ عليه السلام ــ : **«اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك ـ وعدّأشياءغيرهذا وقال: ـ لايكون يوم صومك كيوم فطرك .»** [٦٥]

وزاد في خبر آخر: **«... ودع المراء وأذى الخادم...»** [٦٦]

وليكن عليك وقار الصيام؛ «[فانّ] رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ سمع امرأة تسبّ جاريتها وهي صائمة، فدعا بطعام، فقال لها: كلي!! فقالت: انّي صائمة، فقال: **كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟ انّ الصوم ليس**

٦٤ ــ البحار، ج ٩٦، باب آداب الصائم، ص ٢٩٤، ح ٢٤؛ ومسند أحمد، ج ٢، ص ٤٤١.

٦٥ و ٦٧ ــ الفقيه، ج ٢، باب في آداب الصائم والتهذيب، ج ٤، باب في سنن الصيام، ص ١٩٤؛ والكافي، ج ٤، باب ادب الصائم، ص ٨٧؛ كما في الوسائل، ج ٧، باب ١١ من أبواب آداب الصائم، ص ١١٦، نقلاً عنها.

٦٦ ــ الكافي، ج ٤، باب أدب الصائم، ص ٨٧، ح ٣؛ والفقيه، ج ٢، باب في آداب الصائم، ص ٦٨، ح ١٠؛ والتهذيب، ج ٤، باب في سنن الصيام، ص ١٩٤، ح ٣.

من الطعام والشراب فقط.» [٦٧]

وفي الحديث النبوي: **«[إنّما] الصوم جنّة من النار.»** [٦٨]

فاذا كان أحدكم صائما، فلايرفث ولايجهل، وان امرءقاتله أو شاتمه، فليقل: انّي صائم، انّي صائم.

هداية: آداب الافطار:

ثمّ اجتهد أن تفطر على طعام حلال، ولا تستكثر فتزيد على ماتأكله كلّ ليلة، فلا فرق اذا استوفيت ماتعتاده أن تأكله دفعة أو دفعتين، وانّما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوّتك لتقوي بذلك على التقوى.فاذا أكلت عشيّة ماتداركت به مافاتك، فلا فائدة في صومك، وقد ثقلت معدتك، وما من وعاء أبغض الى الله تعالى من بطن مليء من حلال.

فاذا عرفت معنى الصوم، فاستكثر منه مااستطعت، فانّه أساس العبادات ومفتاح القربات؛ في الحديث: **«قال الله تعالى: كلّ حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فانّه لي وأنا أجزي به.»** [٦٩]

وقال ــ صلّى الله عليه وآله ــ: **«والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يقول الله عزّوجلّ: وانّما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي، فالصيام لي وأنا أجزي به.»** [٧٠]

هداية في صلة الأرحام:

وأمّا صلة الأرحام، فقد ورد من الحثّ الأكيد عليها مالامزيد عليه وكذا الوعيد على قطعها؛ قال الله تعالى: **«والذين ... يقطعون ما أمر الله أن يوصل**

٦٨ ــ الكافي، ج ٤، باب ماجاء في فضل الصوم والصائم، ص ٦٢، ح ١؛ والفقيه، ج ٢، باب في فضل الصيام، ص ٤٤، ح ١؛ والوسائل، ج ٧، باب ٧ من أبواب الصوم المندوب، ص ٢٨٩، ح ١.

٦٩ ــ سنن الترمذي، ج ٢، باب ماجاء في فضل الصوم، ص ٦٠؛ وسنن النسائي، ج ٤، باب فضل الصيام، ص ١٦٢، بأدنى تفاوت؛ ونظيره في معاني الأخبار، باب نوادر المعاني، ص ٤٠٩، ح ٩١.

٧٠ ــ صحيح البخاري، الجزء الثالث، باب فضل الصوم، ص ٣١، بأدنى تفاوت؛ ونقل صدره في الفقيه، ج ٢، باب فضل الصيام، ح ٥.

ويفسدون في الأرض، أولئك لهم اللعنة، ولهم سوء الدر.»[٧١]

وفي الحديث: «إنّ الرحم معلّقة يوم القيامة بالعرش تقول: اللّهم صل من وصلني واقطع من قطعني»[٧٢] وفيه أيضاً: «صلوا أرحامكم ولو بالسلام.»[٧٣]

والرحم هو القريب المعروف بالنسب، وان بعدت لحمته، وجاز نكاحه، وصلتها برّها والاحسان اليها بالمواساة والمعاونة بالنفس والمال وكلّ ماقدر عليه من الخيرات، وقطعها مايخالف ذلك.

هداية في حقوق الاخوان:

وأمّا حقوق الاخوان؛ فعن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أنّه قال: «قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: للمؤمن على أخيه ثلاثون حقّاً، لابراءة له منها الا بالأداء أو العفو، يغفر زلّته، ويرحم غربته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويردّ غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمّته، ويعود مرضته، ويشهد ميّته، ويجيب دعوته، ويقبل هديّته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسئلته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالّته، ويردّ سلامه، ويطيب كلامه، ويبرّ انعامه، ويصدّق اقسامه، ويواليه ولا يعاديه، وينصره ظالماً أو مظلوماً، فأمّا نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وأمّا نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه، ولايسلّمه ولايخذله، ويحبّ له من الخير مايحبّ لنفسه، ويكره له من الشرّ مايكره لنفسه.»

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً، فيطالبه به يوم القيامة، فيقضي له عليه.»[٧٤]

وعن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايشتمه، من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله تعالى في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله بها كربة من كرب القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة.[٧٥]

٧١ ـ الرعد / ٢٥.

٧٢ ـ الكافي، ج ٢، باب صلة الرحم، ص ١٥١، ح ٧؛ والبحار، ج ٧٤، باب صلة الرحم، ص ١١٥، ح ٧٥، نقلاً عنه.

٧٣ ـ الخصال، باب الأربع مائة؛ والبحار، ج ٧٤، باب صلة الرحم، ص ٩١، ح ١٤، نقلاً عنه.

٧٤ ـ البحار، ج ٧٤، باب حقوق الاخوان، ص ٢٣٦، ح ٣٦.

٧٥ ـ سنن أبي داود، الجزء الرابع، باب المؤاخات، ص ٤٢٤.

وعـنـه ــ صلى الله عـلـيـه وآله ــ : «لا تباغضوا ولاتحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً، ولايحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال.» [٧٦]

وعـن معلى بن خنيس عن مولانا الصادق ــ عليه السلام ــ قال: قلت لـه: مـاحـقّ المسـلم على المسلم؟ قال: سبع حقوق واجبات، مامنها حقّ إلا وهو عليه واجب، ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب. قلت له: جـعلـت فـداك ومـاهـي؟ قال: يا معلّى! انّي عليك شفيق، أخاف أن تضيّع ولاتحفظ، وتعلـم ولا تـعمل، قال: قلت له: لاقوّة الا بالله، قال: أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنـفسـك، وتكـره له ماتكره لنفسك؛ والحقّ الثاني: أن تجتنب سخطه، وتتّبع مرضاته، وتطيـع أمره؛ والحقّ الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك و يدك ورجلك؛ والحقّ الرابع: أن تـكـون عيـنـه ودليـلـه ومرآتـه؛ والحقّ الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى و يظمأ، ولا تلبس و يعرى؛ والحقّ السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك فيـغسـل ثـيـابـه، و يصنع طعامه، ويمهد فراشه؛ والحقّ السابع: أن تبرّ قسمه وتجيب دعوته وتعود مـريـضـه، وتـشـهـد جنازته، واذا علمت أنّ له حاجة تبادره الى قضائها، ولا تلجأه أن يسأ لكها ولكن تبادره مبادرة. فاذا فعلت ذلك، وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك» [٧٧]

وعـنـه ــ عـليه السلام ــ : «اذا مشى الرجل في حاجة أخيه المؤمن، يكتب له عشر حسـنـات، ويمحـى عـنـه عشر سيّـئـات، و يرفـع له عشر درجات.» قال [الراوي]: ولاأعلمه إلا قال: «و يعدل عشر رقبات، وأفضل من اعتكاف شهر في المسجد الحرام.» [٧٨]

وعـنـه ــ عـلـيـه الـسـلام ــ : «من نفّس عن مؤمن كربة، نفّس الله عنه كرب الآخرة، وخـرج مـن قبره وهوثلج الفؤاد؛ ومن أطعمه من جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة؛ ومن سقاه شربة، سقاه الله من الرحيق المختوم.» [٧٩]

ولنقتصر على هذا القدر من بيان طاعات الجوارح، ومن الله التأييد.

٧٦ ــ صحيح البخاري، ج ٨، ص ٢٣.

٧٧ ــ الكافي، ج ٢، باب حق المؤمن على أخيه، ص ١٦٩، ح ٢؛ والبحار، ج ٧٤، باب حقوق الاخوان، ص ٢٣٨، ح ٤٠، نقلاً عنه.

٧٨ ــ الكافي، ج ٢، باب السعي في حاجة المؤمن، ص ١٩٦، ح ١؛ والبحار، ج ٧٤، باب قضاء حاجة المؤمنين، ص ٣٣١، ح ١٠٥، نقلاً عنه.

٧٩ ــ الكافي، ج ٢، باب تفرج كرب المؤمن، ص ١٩٩، ح ٣؛ والبحار، ج ٧٤، باب قضاء حاجة المؤمنين، ص ٣٢١، ح ٨٧، نقلاً عنه.

[٢]
باب معاصي الجوارح

هداية: تعريف عام بمعاصي الجوارح:

معاصي الجوارح امّا كبائر وامّا صغائر، وأمّا المكروهات فليست بمعاص، وانّما هي خلاف الأولى وترك الأحرى، فهي مقابلة النوافل من الطاعات.

فبترك المعاصي ينال أصل النجاة، و بترك المكروهات يوصل الى الفوز بالدرجات. والكبائر توجب النار، واجتنابها مكفّر للصغائر؛ قال الله عزوجلّ: **«ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه، نكفّر عنكم سيّئاتكم، وندخلكم مدخلاً كريماً.»**[١]

وتعيين الكبائر مشكل، وكان المصلحة في ابهامها لتجتنب المعاصي كلّها مخافة الوقوع فيها؛ وعن مولانا الصادق ــ عليه السلام ــ : **«انّها ما أوعد الله عليها النار في كتابه.»**[٢] وفي رواية أخرى عنه ــ عليه السلام ــ أنّه قال: **«هنّ في كتاب عليّ ــ عليه السلام ــ سبع: الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البيّنة، وأكل أموال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعرّب بعد الهجرة.»**[٣]

وفي بعض الروايات عدّ بدل الكفر قذف المحصنة.

١ ــ النساء/ ٣١.

٢ ــ لم نجده في المآخذ، إلا أنّه مضمون حديث رواه الكليني (ره) عن الصادق ــ عليه السلام ــ في الكافي، ج ٢، باب الكبائر، ح ١ و ٣.

٣ ــ الكافي، ج ٢، باب الكبائر، ص ٢٧٨، ح ٨؛ والوسائل، ج ١١، باب ٤٦ من أبواب جهاد النفس ومايناسبه، ص ٢٥٤، ح ٤، نقلاً عنه.

وعن مولانا الرضا ــ عليه السلام ــ في رسالته التي كتبها للمأمون في محض الاسلام هي: «قتل النفس التي حرّم الله تعالى، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به من غير ضرورة، وأكل الربا بعد البيّنة، والسحت، والميسر وهو القمار، والبخس في المكيال والميزان، وقذف المحصنات، واللواطة، وشهادة الزور، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ومعونة الظالمين، والركون اليهم، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر، والكذب والكبر، والاسراف والتبذير، والخيانة وكتمان الشهادة، والاستحقار لأولياء الله، والاستخفاف بالحجّ، والاشتغال بالملاهي، والاصرار على الصغائر من الذنوب.»[٤]

هداية: القسم الأول من معاصي الجوارح:

ومن المعاصي: ترك الواجبات، واتيان البدع، والقعود في المسجد جنباً أو حائضاً، ولبس الذهب والحرير للرجال، والأكل والشرب من أواني الذهب والفضّة، فمن فعل ذلك فانّما يجرجر في بطنه نار جهنّم، واتّخاذها، وعمل آلات اللهو وآلات البدع والبطر حتّى الأواني المذكورة، لأنّه معاونة على الاثم، وتصوير ذوات الأرواح، فمن فعل ذلك يعذّب يوم القيامة حتّى ينفخ الروح فيها وليس بنافخ، وكذا استعمالها والنظر اليها على قول، و ينبغي تقييدها بما اذا كانت منصوبة في جدار وستر ونحوه دون مايوطأ منها، كما في الحديث، والثناء رياء وسمعة أي فضلاً على مايكفيه استطالة منه على جيرانه، ومباهاة لاخوانه، والاستخفاف بفقير مسلم، فمن فعل ذلك فقد استخفّ بحقّ الله، والله يستخفّ به يوم القيامة إلا أن يتوب.

وحلق اللحية، وهجاء المؤمنين وايذائهم، وانشاد شعر يتضمّن ذلك، والغناء بما فيه ترجيع واطراب على المشهور، وفي الاطلاق نظر؛ وفي الحديث:

٤ ــ عيون أخبار الرضا، ج ٢، باب ٣٥، ص ١٢٠، ح ١؛ وقريب منه في تحف العقول، ص ٤٢٢؛ كما في الوسائل، ج ١١، باب ٤٦ من أبواب جهاد النفس و مايناسبه، ص ٢٦٠، ح ٣٣، نقلاً عنها.

«المغنية ملعونة، ملعون من أكل كسبها.» [٥]

وفي آخر: «شراؤهنّ حرام، و بيعهنّ حرام، وتعليمهنّ كفر، واستماعهنّ نفاق.» [٦] وفي آخر: **«وثمنهنّ سحت.»** [٧]

وفي آخر: **«أجر المغنّية التي تزف العرائس ليس به بأس، وليست بالتي يدخل عليها الرجال.»** [٨]

والنياحة بالباطل والاستماع اليها، والقيادة والمساحقة، وتكلّم المرأة عند غير زوجها وغير ذي محرم منها بأكثر من خمس كلمات ممّا لابدّ منها، ومباشرتها لأخرى ليس بينهما ثوب، وتحدّثها بما تخلو به مع زوجها، وتزيّنها لغير زوجها، وخروجها من بيتها بغير إذنه، فان خرجت لعنها كلّ ملك في السماء وكلّ شيء تمرّ عليه من الجنّ والانس حتّى ترجع الى بيتها؛ وفي الحديث: **«من ملأ عينه من حرام، ملأ الله عينه يوم القيامة من النار إلّا أن يتوب. ومن صافح امرأةً تحرم عليه، فقد باء بسخط من الله. ومن التزم امرأة حراماً، قرن في سلسلة من نار مع الشيطان، فيقذفان في النار.»** [٩]

ونهى النبيّ ــ صلّى الله عليه و آله ــ أن ينظر الرجل الى عورة أخيه المسلم، وقال: **«من تأمّل الى عورة أخيه المسلم لعنه سبعون ألف ملك.»** [١٠]

ونهى المرأة أن تنظر الى عورة المرأة، وان يطلع الرجل في بيت جاره،

٥ ــ الكافي، ج ٥، باب المغنية وشرائها، ص ١٢٠، ح ٦؛ والتهذيب، ج ٦، باب المكاسب، ص ٣٥٧، ح ١٤١؛ والوسائل، ج ١٢، باب ١٥ من أبواب ما يكتسب به، ص ٨٥، ح ٤، نقلاً عنهما.

٦ ــ الكافي، ج ٥، باب المغنية وشرائها، ص ١٢٠، ح ٥؛ والتهذيب، ج ٦، باب المكاسب، ص ٣٥٦، ح ١٣٩؛ والوسائل، ج ١٢، باب ١٦ من أبواب مايكتسب به، ص ٨٨، ح ٧، نقلاً عنهما.

٧ ــ الكافي، ج ٥، باب المغنية و شرائها، ص ١٢٠، ح ٧؛ والوسائل، ج ١٢، باب ١٦ من أبواب ما يكتسب به، ص ٨٧، ح ٥، نقلاً عنه.

٨ ــ الكافي، ج ٥، باب المغنية وشرائها، ص ١٢٠، ح ٣؛ والتهذيب، ج ٦، باب المكاسب، ص ٣٥٧، ح ١٤٣؛ والوسائل، ج ١٢، باب ١٥ من أبواب ما يكتسب به، ص ٨٥، ح ٣، نقلاً عنهما.

٩ ــ الفقيه، ج ٤، باب جمل من مناهي النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ، ص ٢، ح ١، والوسائل ج ١٤ باب ١٠٥ من أبواب مقدمات النكاح و آدابه، ص ١٤٢، ح ١، نقلاً عنه؛ و أيضاً في مكارم الأخلاق، الباب الثاني عشر، ص ٤٩٦.

١٠ ــ الفقيه، ج ٤، باب جمل من مناهي النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ ص ٢، ح ١؛ والمكارم، الباب الثاني عشر.

وقال: «من نظر الى عورة أخيه المسلم أو عورة غير أهله متعمّداً، أدخله الله مع المنافقين الذين كانوا يبحثون عن عورات المسلمين، ولم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله، إلا أن يتوب.»[١١]

هداية: القسم الثاني من معاصي الجوارح:

وعن المعاصي: النظر في أحكام النجوم للحكم بها، والكهانة والسحر، والقيافة والشعبذة؛ وفي الحديث: «... ايّاكم وتعلّم النجوم! إلا مايهتدى به في برّ أو بحر، فانّها تدعو الى الكهانة؛ والمنجّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار.»[١٢]

وفي آخر: «... المنجّم ملعون والكاهن ملعون والساحر ملعون.»[١٣]

وفي آخر: «من تكهن أو تكهن له فقد برئ من دين محمّد.»[١٤]

وانكر «ابن طاووس» حديث ذمّ التنجيم، وجوّز فعله، وللناس في هذا الباب كلمات سخيفة وتقييدات باردة، والذي يظهر لي من النصوص أنّ الاخبار عن المغيبات على سبيل البتّ حرام، إلا لنبيّ أو وصيّ نبيّ وعلى سبيل التفأل جائز.

والسحر كلام أو كتابة أو رقية أو اقسام أو عزائم ونحوها، يحدث بسببها ضرر على الغير، ومنه عقد الرجل عن زوجته بحيث لايقدر على وطئها، والقاء البغضاء بينهما. ومنه استخدام الملائكة والجنّ واستنزال الشّياطين في كشف الغايبات وعلاج المصاب، واستحضارهم وتلبيسهم ببدن صبيّ أو امرأة، وكشف الغائب على لسانه، فتعلّم ذلك وأشباهه وتعليمه حرام، والتكسّب به سحت، إلا للتوقّي أو لدفع المتنبّي، ويجوز حلّه بالقرآن والأقسام، كما في الحديث.

١١ ـ نفس المصادر.

١٢ ـ نهج البلاغة خ ٧٩، ص ١٠٥.

١٣ ـ الخصال، ج ١، باب الخمسة، ح ٦٧؛ والوسائل، ج ١٢، باب ٢٤ من أبواب مايكتسب به، ص ١٠٣، ح ٧، نقلاً عنه.

١٤ ـ الخصال، ج ١، باب الواحد، ص ١٩، ح ٦٧؛ والوسائل، ج ١٢، باب ٢٦ من أبواب ما يكتسب به، ص ١٠٨، ح ٢، نقلاً عنه.

القسم الثالث من معاصي الجوارح :

وعن أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ: «**السحت ثمن الميتة، وثمن الكلب، وثمن الخمر ومهر البغي، والرشوة في الحكم، وأجر الكاهن.**»[١٥]

وعن الصادق ــ عليه السلام ــ: «**السحت أنواع كثيرة، منها ما أصيب من أعمال الولاة الظلمة، ومنها أجور القضاة، وأجور الفواجر، وثمن الخمر والنبيذ المسكر، والربا بعد البيّنة، فأمّا الرشا في الأحكام، فانّ ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله.**»[١٦]

ومثله ورد في اللواط، وهو: «**أنّ اللواط مادون الدبر، وأمّا الدبر فهو الكفر بالله العظيم جلّ اسمه.**»[١٧]

وكما يحرم الرشا على الآخذ يحرم على المعطي لاعانته على الاثم، إلا أن يتوقّف عليه تحصيل حقّه. ونهى النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ عن بيع الخمر، وان يشترى الخمر، وان يسقى الخمر؛ وقال: «**لعن الله الخمر وعاصرها وغارسها وشاربها وساقيها وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه.**»[١٨]

وقال: «**من شربها لم يقبل له صلاة أربعين يوماً، فان مات وفي بطنه شيء من ذلك، كان حقّاً على الله أنّ يسقيه من طينة خبال، وهو صديد أهل النار، ومايخرج من فروج الزناة، فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربها أهل النار، فيصهر به مافي بطونهم والجلود.**»[١٩]

ونهى عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر، ونهى عن أكل الربا، وشهادة الزور، وكتابة الربا؛ وقال: «**انّ الله تعالى لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه.**»[٢٠]

١٥ ــ الكافي، ج ٥، باب السحت، ص ١٢٦، ح ٢؛ والخصال، ج ١، باب الستة، ص ٣٢٩، ح ٢٥؛ والوسائل، ج ١٢، باب ٥ من أبواب ما يكتسب به، ص ٦٢، ح ٥، نقلاً عنها.

١٦ ــ الخصال، ج ١، باب الستة، ص ٣٢٩، ح ٢٦؛ والوسائل، ج ١٢، باب ٥ من أبواب ما يكتسب به، ص ٦٤، ح ١٢، نقلاً عنه.

١٧ ــ الوسائل، ج ١٤، باب ٢٠ من أبواب النكاح، ح ٢، نقلاً عن الكافي وعقاب الأعمال والمحاسن.

١٨ ــ الفقيه، ج ٤، باب جمل من مناهي النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ، ص ٢، ح ١؛ والوسائل، ج ١٢، باب ٥ من أبواب ما يكتسب به، ص ١٦٥، ح ٥، نقلاً عنه؛ والمكارم، باب الثاني عشر، ص ٤٩١.

١٩ ــ الفقيه، ج ٤، باب جمل من مناهي النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ، ص ٢، ح ١؛ والوسائل، ج ١٧، باب ٣٤ من أبواب الأشربة المحرمة، ص ٣٠١، ح ٤، نقلاً عنه؛ والمكارم، باب الثاني عشر، ص ٤٩١.

٢٠ ــ الفقيه، ج ٤، باب جمل من مناهي النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ ص ٢، ح ١؛ والوسائل، ج ١٢،

هداية: القسم الرابع من معاصي الجوارح :

ومن المعاصي : الغضب والسخط لغير الله، والحميّة والعصبيّة، والتكبرّ والتجبرّ، والاختيال في المشي، واحتقار الناس، والتفاخر، والبذاء والفحش، والبغي والفسق والفجور، وتزكية النفس واظهار الحسد، والخرق والسفه، والمراء والغيبة والنميمة والاستماع اليهما، واشاعة الفواحش في المؤمنين، وتجسّس عيوبهم، وسوء الظنّ بهم، فانّ بعض الظنّ اثم، والبهتان والسعاية والسباب، واللعن والطعن لغير مستحقّهما، والمكر والخديعة، والغدر والغش، والتدليس والغصب والنهب، والذهاب بحقوق المسلمين، والظلم والقساوة والجفاء، والتعرّب بعدالهجرة، وهو ممّا يعدّ في الكبائر، وكلّ مانهى الله ورسوله ـــ صلى الله عليه وآله ـــ عنه، وترك الآداب والسنن النبويّة بالمرّة، سوى أصل الفرائض، فانّ ذلك معصية، فهذه أمّهات المحرّمات.

هداية في المكروهات :

والمكروهات كثيرة لايمكن ضبطها وحصرها، فلنأت منها بجملة، يكون انموذجا لما سواها؛ فمنها:

الأكل على الجنابة، فانّه يورث الفقر، وتخفّ كراهته بالمضمضة، وتقليم الأظفار بالأسنان، والسواك في الحمّام، والتنخّع في المساجد، وأكل سؤر الفأر، وجعل المساجد طرقاً إلا أن يصلّي فيها ركعتين؛

والبول تحت الشجرة المثمرة، وعلى قارعة الطريق، وفي الماء الراكد، فمنه ذهاب العقل، و بادياً فرجه للنيّرين، ومستقبلاً للقبلة وقيل بتحريمه؛

والأكل بالشمال أو متكئاً، والمشي في فرد نعل، والتنعّل قائماً، واتّباع النساء الجنائز، ومحو شيء من كتاب الله بالبزاق، وكتابته محدثاً؛

واحراق شيء من الحيوان بالنار، وسبّ الديك، فانّه يوقظ للصلاة، واكثار الكلام عند المجامعة، فمنه خرس الولد، وتبيت القمامة في البيت، فانّها

باب ٤ من أبواب الربا، ص ٤٣٠، ح ٣، نقلاً عنه؛ والمكارم، باب الثاني عشر، ص ٤٩١.

مـقـعـد الـشـيطان، و تبيته و يده غمرة، فان فعله فاصابه الشيطان فلا يلومنّ إلا نفسه؛

والاستنجاء بالروث والعظم، والجماع مستقبل القبلة، واجابة الفاسقين الى طعـامـهم، وادخال المرأة في الحمام معه، وتصفيق الوجه، و مصافحة الذميّ. و إنشاد الشعر والضالّة في المسجد، وسلّ السيف فيه؛

وضـرب وجـوه البهـائم، والـنـفخ في الطعام أوالشراب أوموضع السجود، وفي الرقي، وقتل النحل، والوسم في وجوه البهائم، والحلف بغير الله؛

واستعمال الأجير قبل أن يعلم ماأجرته، وهجران أخيه المسلم أكثر من ثلاثة أيّام، وقيل بتحريمه، والبزاق في البئر يشرب منها، والمدح؛ ففي الحديث: **«احثوا في وجوه المدّاحين التراب.»** [٢١]؛

ومـنـع المـاعـون للـجـار، فمن فعل منعه الله خيره يوم القيامة و وكله الى نفسه، فما أسوأ حاله؛

الى غير ذلك ممّا لايستحسن في عقل أو شرع أو عرف ذوي مروءة؛ وفي الحـديث: **«لاتحقروا شيئاً من الشرّوان صغر في أعينكم، ولا تستكثروا شيئاً من الخير وان كثر في أعينكم، فانّه لاكبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار.»** [٢٢]

ولـنـتـكـلّـم في بيـان جملـة مـن المعاصي المذكورة على نحو ماتكلّمنا في الـطـاعـات، مـقـتـصـرين على الأهمّ الأعمّ الأحوج الى البيان على طريق كلّي وقواعد جميلة استفدناها من بعض العلماء، ومن الله التأييد.

هداية:

قـال بـعـض العلماء : اعلم أنّ الدين شطران: أحدهما ترك المعاصي، والآخر فعل الطاعات.

٢١ ــ الـفـقيه، ج ٤، باب جمل من مناهي النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ، ص ٢، ح ٤؛ والمكارم، باب الثاني عشر، ص ٤٩٣.

٢٢ ــ الـفـقـيـه، ج ٤، بـاب جمل من مناهي النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ، ص ٢، ح ٤؛ والوسائل، ج ١١، باب ٤٣ من أبواب جهاد النفس ومايناسبه، ص ٢٤٦، ح ٨، نقلاً عنه؛ والمكارم، باب الثاني عشر، ص ٥٠٠.

وترك المعاصي هو الأشدّ، لأنّ الطاعة يقدر عليها كلّ أحد، وترك المعاصي لايقدر عليها إلا الصدّيقون، ولذلك قال ــ صلى الله عليه و آله ــ: **«المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه.»** [٢٣]

واعلم انّك انّما تعصى الله بجوارحك وهي نعمة من الله عليك، وأمانة لديك، فاستعانتك بنعمة الله على معاصيه غاية الكفران، وخيانتك في أمانة أودعكها الله غاية الطغيان. فأعضاءك رعاياك كيف ترعاها؛ فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته.

واعلم أنّ جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة بلسان ذلق تفضحك به على ملأ الخلق؛ قال الله تعالى: **«يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.»** [٢٤]

وقال الله تعالى: **«اليوم نختم على أفواههم، وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون.»** [٢٥]

فاحفظ جميع بدنك، وخصوصاً أعضاءك السبعة، فانّ جهنّم ها سبعة أبواب لكلّ باب منها جزء مقسوم، ولايتعيّن لتلك الأبواب إلا من عصى الله بهذه الأعضاء، وهي: العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل.

أمّا العين، فانّما خلقت لك لتهتدي بها في الظلمات، وتستعين بها في الحاجات، وتنظر بها في عجائب ملكوت السماوات والأرض، وتعتبر بما فيها من الآيات. فاحفظها عن ثلاث: أن تنظر بها الى محرّم أو الى صورة مليحة بشهوة نفس، أو تنظر بها الى مسلم بعين الاحتقار، أو تطلع بها الى عيب مسلم.

وأمّا الأذن، فاحفظها عن أن تصغي بها الى البدعة أو الغيبة أو الفحش، أو الخوض في الباطل، أو ذكر مساوىء الناس، فانّها خلقت لك لتسمع بها كلام الله سبحانه، وسنّة رسوله ــ صلى الله عليه و آله ــ، وحكمة

٢٣ ــ راجع المحجة، ج ٧، ص ١٢٤، وقد أخرجه عن ابن ماجة والنسائي.

٢٤ ــ النور/ ٢٤.

٢٥ ــ يس / ٦٥.

أولـيـائه ــ رضي الله عنهم ــ، وتتوصّل باستفادة العلم بها الى الملك المقيم والنعيم الـدائم. فـاذا أصـغـيـت بهـا الى شـيء مـن المكاره، صار ما كان لك عليك، أو انـقـلـب مـا كان سبب فوزك سبب هلاكك، وهذا غاية الخسران. ولا تظننّ أنّ الاثم يختـصّ بـه الـقـائل دون المستمع؛ في الخبر: «انّ المستمع شريك القائل»[٢٦] و «أنّ المستمع أحد المغتابين.»[٢٧]

وأمّا اللسان، فـانّما خـلـق لـك لتكثر به ذكر الله تعالى، وتلاوة كتابه، وتـرشـد بـه خـلـق الله الى طـريـقـه، وتظهر بـه ما في ضميرك من حاجات دينك ودنـيـاك . فـاذا استعملته في غير ما خلق له، فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه. وهو أغـلـب أعـضائك عليك وعلى سائر الخلق، ولا يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصايد ألسنتهم. فاستظهر عليه بغاية قوّتك، حتّى لا يكبّك في قعر جهنم؛ في الحديث: «انّ الرجل ليتكلّم بالكلمة، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً.»[٢٨]

فاحفظ لسانك من سبعة:

الأوّل: الـكـذب، فـاحفظ منه لسانك في الجدّ والهزل، ولا تـعوّد نفسك الـكـذب هـزلاً، فـيـتداعى الى الجدّ. والكذب من أمّهات الكبائر. ثمّ انّك اذا عـرفـت بـذلك، سقطت الثقة بقولك، وتزريك الأعين وتحتقرك . واذا أردت أن تـعرف قبح الكذب فانظر الى كذب غيرك ، والى نفرة نفسك عنه، واستحـقارك لـصاحـبه واستقباحك له. وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك، فانّك لا تدرك قبح عيوبك من نفسك، بل من غيرك . فما استقبحته من غيرك فيستقبحه غيرك لا محالة منك ، فلا ترض لنفسك ذلك.

الـثـاني: الخلف في الوعد، فايّاك أن تعد بشيء! بل يكون احسانك الى الـنـاس فـعـلاً بـلاقـول، فـان اضطررت الى الوعد، فايّاك أن تخلف إلا لعجز أو ضـرورة! فـانّ ذلـك مـن امارات النفاق وخبائث الأخلاق؛ قال النبيّ ــ صلّى

٢٦ ــ لم نعثر عليه فيما بأيدينا من المآخذ.

٢٧ ــ المكاسب، ص ٤٦، وفيه «فقد ورد: أنّ السامع للغيبة أحد المغتابين» وكشف الريبة عن أحكام الغيبة للشهيد الثاني، باب حرمة استماع الغيبة، ص ١٨.

٢٨ ــ قريب منه في صحيح البخاري، الجزء الثامن، باب حفظ اللسان، ص ١٢٥؛ وسنن الترمذي، الجزء الثالث، باب ماجاء من تكلم بالكلمة ليضحك الناس، ص ٢٦٠.

الله عـلـيه وآله ــ: «ثلاث من كنّ فيه فهومنافق وان صام وصلّى: من اذا حدّث كذب، واذا وعد أخلف، واذا ائتمن خان.» [٢٩]

والـثـالـث: الـغيبة، فاحفظ اللسان من الغيبة، فالغيبة أشدّ من ثلا ثين زنـيـة في الاسـلام، كـذلـك في الخبر. ومـعنى الـغـيـبـة أن تذكر انساناً بما يكرهه لوسمعه، فأنت مغتاب ظالم وانّ كنت صادقاً. وايّاك وغيبة القرّاء المرائين! وهو أن تفهّم المقصود من غير تصريح، فتقول: «أصلحه الله وقد سائني وغمّني ماجرى عـليه، فنسأل الله أن يصلحنا وايّاه.» فانّ هذا جمع بين خبيثين: أحدهما الغيبة، اذا حـصـل بـه الـتـفهيم، والآخر تزكية النفس والثناء عليها بالتحرج والصلاح. لكن ان كان مقصودك من قولك: «أصلحه الله» الدعاء، فادع له في السرّ وان اغـتممت بسببه، فعلامته أنّك لا تريد فضيحته واظهار عيبه، وفي إظهـارك الغمّ بـعيبه اظهار لعيبه. و يكفيك زاجراً عن الغيبة قوله تعالى: «ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحبّ أحدكم أن يأ كل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه؟» [٣٠]

فـقـد شبّـهـك الله بأ كل الميتة، فا أجدرك أن تحترز منها؟ ويمنعك عن غـيـبـة المسلمين أمر لو تفكّرت فيه، وهو أن تنظر في نفسك هل فيك عيب ظاهر أو بـاطن؟ وهل أنت مقارف معصية سرّاً أو جهراً؟ فان عرفت ذلك من نفسك، فاعلم أنّ عجزه عن التنزّه عمّا نسبته اليه كعجزك ، وعذره كعذرك ، وكما تكره أن تـفـضـح وتـذكـر عـيـوبـك، فهو أيضاً يكرهه. فان سترته ستر الله عليك، وان فـضـحـتـه سلّط الله عليك ألسنة حداد يمزّقون عرضك في الدنيا، ثمّ يفضحك في الآخـرة على المـلأ. وان نـظـرت إلى ظـاهرك و باطنك، فلم تطّلع فيهما على عيب ونقص في دين ودنيا فاعلم أنّ جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة، ولاعيب أعـظـم من الحمق، ولو أراد الله بك خيراً لبصّرك بعيوب نفسك، فرؤ يتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك. ثمّ ان كنت صادقاً فاشكر الله على ذلك ، ولا تفسده بثلب الناس والتمضمض بأعراضهم، فانّ ذلك من أعظم العيوب.

٢٩ ــ صحيح مسلم، ج ١، كتاب الايمان، باب ٢٥، ح ١٠٨؛ وسنن الترمذي، ج ٤، كتاب الايمان، باب ١٤، ح ٢٧٦٦.

٣٠ ــ الحجرات/١٢.

الرابع: المراء والجدل ومناقشة الناس في الكلام، فذلك فيه ايذاء المخاطب وتجهيل له وطعن فيه، وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم. ثمّ هو مشوّش للعيش، فانّك لا تماري سفيهاً إلا وهو يؤذيك، ولا تماري حليماً إلا وهو يقليك ويحقد عليك مخاذلك وقد قال ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ : «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنّة، ومن ترك المراء وهو محقّ بني له بيت في أعلى الجنّة،»[٣١]

ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان و يقول لك: «أظهر الحق ولا تداهن فيه»، فانّ الشيطان أبداً يستجرّ الحمقاء الى الشرّ في معرض الخير، فلا تكن مضحكة للشيطان يسخر بك. فاظهار الحقّ حسن مع من يقبل منك، وذلك بطريق النصيحة في الحقيقة، لابطريق المماراة. والنصيحة صنعة وهيئة ويحتاج فيها الى تلطف، و إلا صارت فضيحة، وكان فسادها أكثر من صلاحها. ومن خالط متفقّهة العصر غلب على طبعه المراء، وعسر عليه الصمت؛ اذ ألقى اليه العلماء السوء أنّ ذلك هو الفضل، وأنّ القدرة على المجاحدة والمناقشة هو الذي يتمدّح به. ففرّ منهم فرارك من الأسد، واعلم أنّ المراء سبب المقت عند الله عزّوجلّ وعند الخلق.

الخامس: تزكية النفس؛ فقد قال الله تعالى: «فلا تزكّوا أنفسكم.»[٣٢] وقيل لبعض الحكماء: «ما الصدق القبيح؟!» فقال: «ثناء المرء على نفسه.» فايّاك أن تتعوّد ذلك! واعلم أنّ ذلك ينقص من قدرك عند الناس، و يوجب مقتك عند الله، وان أردت أن تعرف أنّ ثناءك على نفسك لايزيد في قدرك عند غيرك ، فانظر الى أقرانك اذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال، كيف يستنكر ذلك قلبك و يستثقله طبعك؟! وكيف تذمّهم عليه اذا فارقتهم؟ فاعلم أنهم أيضاً في حال تزكيتك نفسك يذمّونك بقلوبهم ناجزاً، وسيظهرونه بألسنتهم اذا فارقتهم.

٣١ ـــ البحار، ج ٢، باب ١٧، ص ١٣٨، ح ٥١؛ وسنن الترمذي، الجزء الثالث، باب ماجاء في المراء، ص ١٤٢، بأدنى تفاوت؛ والترغيب والترهيب، ج ١، ص ١٣٠، نقلاً عنه.

٣٢ ـــ النجم / ٣٢.

السادس: احفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله وان ظلمك، وكل أمره الى الله؛ في الحديث: «**انّ المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافيه، ثمّ يبقى للظالم فضل عنده يطالبه به في القيامة.**»[٣٣]

السابع: المزح والسخرية والاستهزاء بالناس، فاحفظ لسانك من ذلك، فانّه يريق ماء الوجه، و يسقط المهابة، و يستجرّ الوحشة، و يؤذي القلوب، وهو مبدأ اللجاج والتصارم، و يغرس الحقد في القلوب. ولا تمازح أحداً، وان مازحك غيرك فلا تجب، وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وكن من الذين اذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً.

فهذا مجامع آفات اللسان، ولايعينك على ذلك إلا العزلة، أو ملازمة الصمت إلا بقدر الضرورة. وقد كان بعض الصحابة يضع حجراً في فيه ليمنعه ذلك من الكلام لغير ضرورة،و يشير الى لسانه و يقول: «هذا أوردني الموارد، فأحترز منه.» فانّه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة.

وأمّا البطن، فاحفظه عن تناول الحرام والشبهة، واحرص على طلب الحلال. فاذا وجدته فاحرص على أن تقتصر على دون الشبع، فانّ الشبع يقسي القلب، و يفسد الذهن، و يبطل الحفظ، و يثقل الأعضاء عن العبادة والعلم، و يقوّي الشهوات، و ينصر جنود الشيطان. والشبع من الحلال مبدأ كلّ شرّ فكيف من الحرام؟

وطلب الحلال فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرقين. واذا قنعت في السنة بقميص خشن، وفي اليوم برغيفين، وتركت التلذّذ بأطيب الأدم، لم يعزّك من الحلال مايكفيك. فالحلال كثير وليس عليك أن تتيقّن باطن الأمور، بل عليك أن تحترز ممّا تعلم أنّه حرام أو تظنّ أنّه حرام ظنّاً حصل من علامة ناجزة مقرونة بالمآل. أمّا المعلوم فظاهر، وأمّا المظنون بعلامة، فهو مال السلطان وعمّاله، ومال من لاكسب له إلا من النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المزامير، حتّى علمت أنّ

٣٣ ــ نحوه في الكافي، ج ٢، ص ٣٣٣.

أكثر مـالـه حرام قطعاً، فما تأخذه من يده، وان أمكن أن يكون حلالاً نادراً، فهو مظنون الحرمة.

ومـن الحـرام المحض مـا يـؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف، فمن لايـشـتـغـل بـالـتفقّه فما يأخذه من المدارس حرام. فعليك بمعرفة الحلال والحرام، فانّها فريضة كالصلوات الخمس.

وأمّـا الـفـرج: فـاحـفـظه عن كلّ ماحرّمه الله، وكن كما قال الله تعالى: «**والذين هم لفروجهم حافظون* إلاّ على أزواجهم ــ الآية.**» [٣٤]

ولا تصل الى حفظ الفرج إلاّ بحفظ العين عن النظر، وحفظ القلب عن الـفـكـرة، وحـفـظ الـبـطـن عـن الـشبهـة وعن الشبع، فانّ هذه محرّكات الشهوة ومغارسها.

وأمّـا الـيـدان: فـاحـفـظهما عن أن تضرب بهما مسلماً، أو تتناول بهما مالاً حراماً، أو تؤذي بهما أحداً من الخلق، أو تخون بهما في أمانة و وديعة، أو تكتب بهما مـالايجـوز الـنـطـق بـه، فـانّ الـقلم أحد اللسانين، فاحفظ القلم عمّا يجب حفظ اللسان عنه.

وأمّـا الـرجلان: فاحفظهما عن أن نمسي بهما الى حرام، أو أن تسعى بهما الى بـاب سـلطان، فالمشي الى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وازهاق معصية، فانّه تواضع واكرام لهم، وقد أمر الله بالاعراض عنهم، وهو تكثير لسوادهم واعانة لهـم على ظـلـمـهم، وان كان ذلك بسبب من طلب مالهم، فهو سعي الى حرام؛ وقد قال النبيّ ــ صلى الله عليه و آله ــ: «**من تواضع لغنيّ لغناه ذهب ثلثادينه.**» [٣٥]

هذا في الغنيّ الصالح، فما ظنّك بالغنيّ الظالم؟

وعلى الجـمـلـة فـحـركاتك وسكناتك بأعضائك، فلا تحرّك شيئاً منها في معصية الله أصلاً، واستعملها في طاعة الله.

واعـلـم أنـك ان قـصرت فاليك يرجع و باله، وان تشمّرت فاليك تعود

٣٤ ــ المؤمنون / ٥ ــ ٦؛ والمعارج ٢٩ ــ ٣٠.

٣٥ ــ سـفـيـنـة الـبـحار، ج ٢، ص ٦٦٨، مادّة «وضع»، نقل حديثين عن أميرالمؤمنين ــعليه السلام ــ وعن الصادق ــعليه السلام ــ، عن رسول الله ــصلّى الله عليه و آله ــ في معنى هذا.

ثمرته، والله غنيّ عنك وعن عملك، وانّما كلّ نفس بما كسبت رهينة. وايّاك أن تقول: «انّ الله رحيم يغفر ذنوب العصاة»، فانّها كلمة حق أريد بها الباطل، وصاحبها ملقّب بالحماقة بتلقيب رسول الله ــ صلّى الله وعليه وآله ــ حيث قال: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتّبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأمانيّ.**»[٣٦]

واعلم أنّ قولك هذا يضاهي قول من يريد أن يصير فقيهاً في علوم الدين، فاشتغل بالبطالة وقال: «انّ الله كريم رحيم قادر أن يفيض على قلبي من العلوم ما أفاضه على قلوب أوليائه وأنبيائه من غير جهد وتكرار وتعليم.» وهو كقول من يريد مالاً، فترك الحراثة والتجارة والكسب وتعطّل وقال: «انّ الله كريم وله خزائن السماوات والأرض، وهو قادر على أن يطلعني على كنز من الكنوز أستغني به عن الكسب، فقد فعل ذلك ببعض عباده.» فأنت اذا سمعت كلام هذين الرجلين، استحمقتهما وسخرت منهما، وان كان ماوصفاه من كرم الله وقدرته صدقاً وعدلاً وحقّاً، فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر في الدين اذا طلبت المغفرة بغير سعي لها؛ والله تعالى يقول لك: «**وأن ليس للانسان إلا ماسعى.**»[٣٧]

و يقول: «**انّما تجزون ما كنتم تعملون.**»[٣٨]

و يقول: «**انّ الأبرار لفي نعيم * وانّ الفجّار لفي جحيم.**»[٣٩]

فاذا لم تترك السعي في طلب العلم والمال، اعتماداً على كرمه، فكذلك لا تترك تزوّدك للآخرة، فلا تغترّ، فانّ ربّ الدنيا والآخرة واحد، وهو فيهما كريم رحيم؛ ليس يزيد له كرم بموتك، وانّما كرمه أن يتيسّر لك طريق الوصول الى الملك المقيم المخلّد بالصبر على ترك الشهوات أيّاماً قلائل، وهذا نهاية الكرم.

فلا تحدّث نفسك بهوسات البطّالين، واقتد بأولي الحزم والنهى من

٣٦ ــ سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ٣١، ح ٤٢٦٠؛ والمستدرک للحاکم، ج ٤، ص ٢٥١.

٣٧ ــ النجم / ٣٩.

٣٨ ــ الطور / ١٦؛ والتحريم / ٧.

٣٩ ــ الانفطار / ١٣ ــ ١٤.

الأنـبياء والصالحين، ولا تطمع في أن تحصد مالم تزرع، وكنت كمن صلّى وصام وجاهد واتّقى وغفر له.

فـهـذه جمل مـايـنـبـغـي أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة، وأعمال هذه الجوارح انّما يـترشّح من صفات القلب، فان أردت حفظ الجوارح، فعليك بتطهير الـقـلب، فهو التقوى الباطن، والقلب هو المضغة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسـد، وان فسدت فسـد لهـا سـائـر الجسـد، فـاشـتـغل باصلاحه لتصلح به جوارحك.

[٣]
باب طاعات القلب

هداية: تعريف عامّ بطاعات القلب :

طاعات القلب: هي صفاته الحميدة وأخلاقه الحسنة، وهي كثيرة؛ منها فرائض بها ينال أصل النجاة، ومنها نوافل بها يوصل الى الفوز بالدرجات.

فمن الفرائض: تعلّم العلوم الضروريّة، التي هي معرفة العقائد الحقّة الدينيّة ولو اجمالاً، ومعرفة الأحكام الشرعيّة الواجبة عليه ولو تقليداً، ومعرفة آفات النفس وأخلاقها الحسنة والرذيلة، ليكتسب أو يجتنب، و بالجملة ماشرحناه في هذا الكتاب.

وأمّا معرفة علم الكلام للردّ على المبتدعة، ومعرفة المسائل الفقهيّة زيادة على الواجب عيناً، و علم الطبّ وما أشبهه من الصناعات، فمن الفروض الكفائيّة.

ومن الفرائض العينيّة: التوبة عن الذنوب كبيرها وصغيرها، وشكر نعم الله تعالى دنيويّها وأخرويّها، والصبر على المصائب والطاعات، وعن المعاصي والشهوات، والزهد في زخرف الدنيا، والتوكل على الله في الأمور وتفويضها اليه، وخصوصاً الرزق، والرضا بقضائه جلّ اسمه، والتسليم لأمره، والخوف والخشية منه، والرجاء والطمع في رحمته ومغفرته، والنيّة والاخلاص له جلّ وعزّ، واليقين.

ومن النوافل: التفكر في مصنوعات الله زيادة على مايتوقّف عليه

المعارف الضروريّة المذكورة، ومراقبة النفس ومحاسبتها زيادة على مايتوقّف عليه تحصيل الأخلاق الواجبة، وذكر الموت، ومابعده كذلك، وتحصيل فضيلة الحكمة، التي هي استقامة القوّة العقليّة من غير ميل الى طرفي افراط الجربزه وتفريط البله، ومايتبعها من حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي، وصواب الظنّ، ومعرفة تفسير القرآن والحديث ومسائل الفقه زيادة على الواجب، وتحصيل فضيلة الشجاعة، التي هي استقامة القوّة الغضبيّة من غير ميل الى طرفي التهور وتفريط الجبن، وانقيادها للقوّة العقليّة على يسر وسهولة، ومايتبعها من الكرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات والنبل والشهامة والوقار، وتحصيل فضيلة العفّة، التي هي استقامة القوّة الشهويّة من غير ميل الى طرفي افراط الشره وتفريط الخمود، وانقيادها للقوّة العقليّة على يسر وسهولة، ومايتبعها من الحياء والمسامحة، والتصبر والسخاء وحسن التقدير، والانبساط والانتظام وحسن الهيئة والقناعة والهدوء والورع، والطلاقة والمساعدة والظرف.

ولنتكلّم في بيان فرائض هذه الخصال على سبيل الاجمال كما استفدناه من العلماء، ومن الله التأييد.

هداية في العقائد:

أمّا العقائد، فأقلّ مايجب اعتقاده على المكلّف، هو ماترجمه قول: «لا اله إلاّ الله، محمّد رسول الله»، ثمّ اذا صدّق الرسول، فعليه أن يصدّقه في صفات الله من العلم والقدرة والارادة والكلام وغيرها، واليوم الآخر من الجنّة والنار والصراط والميزان والحساب وغير ذلك، وتعيين الامام المعصوم بنصّه عليه. كلّ ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد برهان. ولايجب عليه أن يبحث عن حقيقة الصفات، وأنّ الكلام والعلم وغيرهما حادث أو قديم، بل لو لم يخطر أمثال هذا بباله ومات مات مؤمناً؛ ولم يكلّف رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ العرب بأكثر من ذلك؛ كذا قاله العلامة الطوسي (ره) في رسالة له ، وتبعه الفاضل الأردبيلي في ذلك في شرحه للارشاد.

وأقول: انّ أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان

وتحصيل الاطمينان، كمّاً وكيفاً، شدّةً وضعفاً، سرعة و بطؤ، حالاً وعلماً وكشفاً، فكلّ ميسّر لما خلق له؛ «ولا يكلّف الله نفساً إلا وسعها»[1]، وهم درجات عند الله و «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»[2]. فكلّ أحد مكلّف على حسب فهمه وفطرته، وبما يسع قدرته، ولو ممزوجاً بتقليد من اعتقد فيه أهليّة ذلك بالمعاشرة وحسن الاعتقاد، اذا لم يرزق من العقل والفهم مايميّز به بين الحقّ والباطل والصلاح والفساد، وان ميّز جملة من يضلّه ممّن يدعوه الى الرشاد.

والحاصل: أنّه يكفي للعامي أن يحصّل العقائد الدينيّة اجمالاً، ولايجب عليه معرفة التفاصيل، ولا النظر فيها من جهة الدليل زيادة على ماجاء به الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ، سواء في ذلك الفروع والأصول، بل ولايتوقّف صحّة عبادته على معرفة وجوب الواجب واستحباب المستحبّ، بل يكفي اعتقاده بكونها طاعة لله سبحانه، وتمييزه الطاعة عن المعصية.

وما اشتهر بين متأخّري أصحابنا ممّا يخالف ذلك، فلم يثبت؛ اذ لادليل عليه يعتدّ به. كيف وأنّى للعقول العامية والآراء الضعيفة النظر والاستدلال في المعارف؟ نعم، النظر الواجب على العامي أن ينظر فيمن يقلّده و يعتمد عليه في دينه، هل له أهليّة ذلك باتّصافه بالعلم والورع أم لا؟ و يستدلّ على ذلك بقرائن الأحوال وشواهد الآثار الدالة على علمه وتديّنه. وان اختلف العلماء أخذ بقول الأعلم والأورع، وان اشتبه الأمر عليه فهو بالخيار، ويحتاط بها بما استطاع، وفي الحديث الوارد في اختلاف الروايتين: «بأيّها أخذت من باب التسليم وسعك.»[3] والله الموفّق.

هداية في التوبة :

التوبه: هي تبرئة القلب عن الذنوب، وقد حدّها بعضم: بأنّها ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لاصورة، تعظيماً لله وحذراً من سخطه. فلها

١ ــ البقره / ٢٨٦.

٢ ــ المجادلة / ١١.

٣ ــ الكافي، ج ١، باب اختلاف الحديث، ص ٦٦، ح ٧.

اذن أربع شرائط:

أحدها: ترك اختيار الذنب، وهو أن يوطّن قلبه و يجرّد عزمه على أنّه لايعود الى الذنب ألبتة. فأمّا ان ترك الذنب وفي نفسه أنّه ربما يعود اليه، أو لايعزم على ذلك بل يتردّد فانّه ربما يقع له العود، فانّه تمنّع عن الذنب غير تائب عنه.

والثانية: أن يتوب عن ذنب قد سبق منه مثله؛ اذ لو لم يسبق منه مثله، لكان متقياً غير تائب.

والثالثة: أنّ الذي سبق يكون مثل مايترك اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة. ألا ترى أنّ الشيخ الفاني الهرم، الذي سبق منه الزنا وقطع الطريق، اذا أراد أن يتوب عن ذلك يمكنه التوبة لامحالة؛ اذ لم يغلق عنه بابها، ولايمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق؛ اذ هو لايقدر الساعة على فعل ذلك، فلا يقدر على تركه، فلايصحّ وصفه بأنّه تارك له ممتنع عنه، وهو عاجز عنه غير متمكّن لكنّه يقدر على ماهو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة، كالقذف والغيبة والنميمة؛ اذ جميع ذلك معاصي، وان كان الاثم يتفاوت في كلّ واحدة بقدرها؛ ولكن جميع هذه المعاصي الفرعيّة كلّها بمنزلة واحدة، وهي دون منزلة البدعة، ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر، فلذلك صحّ منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق وسائر مامضى من الذنوب التي هو عاجز عن أمثالها اليوم في الصورة.

والرابعة: أن يكون اختياره ذلك تعظيماً لله سبحانه وتعالى، وحذراً من سخطه وأليم عقابه مجرّداً، لالرغبة دنيويّة، أو لرهبة من الناس، أو طلب الثناء، أو صيت، أو ضعف في النفس، أو فقر، أو غير ذلك.

فهذه شرائط التوبة وأركانها، فاذا حصلت واستكملت، فهي توبة حقيقيّة صادقة. وأمّا مقدّماتها فثلاث:

أحدها: ذكر غاية قبح الذنوب.

والثانية: ذكر شدّة عقوبة الله وأليم سخطه وغضبه، الذي لاطاقة لك به.

والثالثة: ذكر ضعفك وقلّة حيلتك في ذلك. فانّ من لم يحتمل حرّ شمس ولطمة شرطيّ وقرض نملة، كيف يحتمل حرّ نار جهنّم، وضرب مقامع الزبانية، ولسع حيّات كأعناق البخت، وعقارب كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار؟ نعوذ بالله منها، ثمّ نعوذ بالله من سخطه وعذابه. فاذا واظبت على هذه الأذكار، وعاودتها آناء الليل والنهار، فانّها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب، والله الموفّق من فضله.

هداية في الخروج من الذنوب :

وأمّا الخروج من الذنوب والتخلّص منها، فاعلم أنّ الذنوب في الجملة ثلاثة أقسام:

أحدها: ترك واجبات لله عزّوجلّ عليك من صلاة أوصوم أوزكاة أو كفّارة أوغيرها، فتقضي ما أمكنك منها.

والثاني: ذنوب بينك و بين الله سبحانه؛ كشرب الخمر وضرب المزامير، وأكل الربا ونحو ذلك، فتندم على ذلك، وتوطّن قلبك الى ترك العود الى مثلها أبداً.

والثالث: ذنوب بينك و بين العباد، وهذا أشكل وأصعب، وهي أقسام: قد تكون في المال، وفي النفس، وفي العرض، وفي الحرمة، وفي الدين.

فما كان في المال، فيجب عليك أن تردّه عليه ان أمكنك، فان عجزت عن ذلك لعدم أو فقر فتستحلّ منه، وان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل أو موته وأمكن التصدّق عنه فافعل، فان لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك والرجوع الى الله بالتضرّع والابتهال أن يرضيه عنك يوم القيامة.

وأمّا ماكان في النفس، فتمكّنه من القصاص أو أوليائه، حتّى يقتصّ منك، أو يجعلك في حلّ، فان عجزت فبالرجوع الى الله سبحانه والابتهال اليه أن يرضيه عنك يوم القيامة.

وأمّا العرض، فبأن اغتبته أو بهتّه أو شتمته، فحقّك أن تكذّب نفسك بين يدي من قلت ذلك عنده، وأن تستحلّ من صاحبه ان أمكنك. هذا اذا لم

تخش زيادة غيظ وتهيّج فتنة في اظهار ذلك أو تجديده، فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله ليرضيه عنك، والاستغفار الكثير لصاحبه.

وأمّا الحرمة، فبأن خنته في أهله و ولده أو نحوه، فلا وجه للاستحلال والاظهار له؛ لأنّه يولد فتنة وغيظاً، بل تتضرّع الى الله سبحانه ليرضيه عنك، ويجعل له خيراً كثيراً في مقابلته. فان أمنت الفتنة والتهيّج وهو نادر، فتستحلّ منه.

وأمّا في الدين، فبأن كفّرته أو بدّعته أو أضللته، فهو أصعب الأمور، فتحتاج الى تكذيب نفسك بين يدي من قلت ذلك له، وأن تستحلّ من صاحبك ان أمكنك، و إلاّ فالابتهال الى الله سبحانه وتعالى جدّاً، والتندّم على ذلك ليرضيه عنك.

وجملة الأمر: فما أمكنك من ارضاء الخصوم عملت، وما لم يمكنك رجعت الى الله سبحانه بالتضرّع والصدق ليرضيه عنك، فيكون ذلك في مشيّة الله سبحانه يوم القيامة، والرجاء منه بفضله العميم، انّه اذا علم الصدق من قلب العبد، فانّه يرضي خصماءه من خزانة فضله.

هدايه في الشكر:

الشكر: صرف نعم الله سبحانه فيما خلقت لأجله، وتعظيم المنعم بمنع جفائه و تذاكر احسانه. وأقلّ مايستوجبه المنعم بنعمته أن لايتوصّل بها الى معصيته. فما أقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحاً على عصيانه. فعليك اذن من فرض الشكر في الحقيقة أن يكون لك من تعظيم الله مايحول بينك و بين معاصيه على حسب تذكّر نعمه. فاذا أتيت بذلك فقد أتيت بما هو الأصل فيه، ثمّ تقابل ذلك بجدّ في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة؛ اذ هو من حقوق النعمة، فلابدّ فيه من الاحتراس عن المعصية. والشكر يلزمك لدوام النعمة وزيادتها.

وأمّا الدوام، فلأنّه قيد النعم، به تدوم وتبقى، و بتركه تزول وتحوّل؛ قال الله تعالى: **«انّ الله لايغيّر مابقوم حتى يغيّروا مابأنفسهم.»** [٤]

٤ ــ الرعد/ ١١.

وقال عزّوجلّ: «**فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف.**»[٥]
وقال: «**مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم.**»[٦]
وقال النبيّ ــ صلى الله عليه وآله ــ: «**انّ للنعم أوابد كأوابد الوحش، فقيّدوها بالشكر.**»[٧]

وأمّا حصول الزيادة فلانّه لما كان الشكر هو قيد النعمة، فهو يثمر الزيادة؛ قال الله تعالى: «**لئن شكرتم لأزيدنّكم.**»[٨] «**والذين اهتدوا زادهم هدى.**»[٩]
وقال: «**الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا.**»[١٠]

والسيد الحكيم إذا رأى العبد قد قام بحقّ نعمه، يمنّ عليه بأخرى، ويريه أهلاً لها، و إلا فيقطع ذلك عنه.

ثمّ انّ النعم قسمان: دنيويّة ودينيّة؛

والدنيويّة ضربان: نعمة دفع ونعمة نفع؛ فنعمة النفع انّه أعطاك المصالح والمنافع وهو ضربان: الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها، والملاذ الشهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من فوائدها.

ونعمة الدفع أن صرف عنك المفاسد والمضار. وهي أيضاً ضربان: أحدهما في النفس، بأن سلمك من زمانتها وسائر آفاتها عللها؛ والثاني، دفع مايلحقك به من ضرر من أنواع العوائق، أو يقصدك بسوء من انس أو جنّ أو سباع أو هوامّ أو نحوها.

وأمّا النعم الدينيّة، فضربان: نعمة التوفيق ونعمة العصمة؛

فنعمة التوفيق، أن وفّقك الله أوّلاً للاسلام، ثمّ للايمان ومعرفة أهل بيت نبيّة ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ، ثمّ للطاعة.

ونعمة العصمة، أن عصمك أوّلاً عن الشرك والكفر، ثمّ عن البدعة والضلالة، ثمّ عن سائر المعاصي. وتفصيل ذلك لايحصيه إلا السيّد العالم الذي

٥ ــ النحل /١١٢.   ٦ ــ النساء / ١٤٧.

٧ ــ لم نجده في كتب المتقدمين من العلماء والمحدّثين، ولكن نقله النراقي (رض) في جامع السعادات، ج ٣، فصل فضيلة الشكر، ص ٢٣٩.

٨ ــ ابراهيم / ٧.   ٩ ــ محمد / ١٧.   ١٠ ــ العنكبوت / ٦٩.

أنعم عليك؛ كما قال جلّ جلاله: «وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها.»[١١]

وانّ دوام هذه النعم كلّها بعدما منّ عليك بها، والزيادة عليها من كلّ باب منها مالايبلغه وهمك، وكلّها يتعلّق بشيء واحد، وهو الشكر، والحمد لله.

هداية في الصبر:

الصبر: هو حبس النفس عن الجزع؛

قال الله تعالى: «انّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب.»[١٢]

وهو على أربعة أقسام: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر عن فضول الدنيا، وصبر على المحن والمصائب. فاذااحتملت على مرارة الصبر، فصبرت في هذه المواطن الأربعة، يحصل لك الطاعات ومنازلها من الاستقامة، وثوابها الجزيل في العاقبة، ثمّ لا تقع في المعاصي وبليّاتها في الدنيا، وتبعاتها في الآخرة، ثمّ لا تبتلى بطلب الدنيا ومالها من الشغل في الحال، والتبعة في المآل، ثمّ لايحبط أجرك على ما ابتليت به وذهب، فيحصل اذا بسبب الصبر الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها، والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل من الله، وتفصيل ذلك أمر لايعلمه إلا الله.

وأمّا دفع المضار، فيخرجك أوّلاً من مذموم الجزع ومقاساته في الدنيا، ثمّ وزره وعقوبته في العقبى.

وأمّا ان ضعفت عن الصبر و سلكت طريق الجزع، فاتك كلّ منفعة، ولحقك كلّ مضرّة؛ اذ لا تصبر على مشقّة الطاعة، فلا تفعل الطاعة، أو لا تصبر على حفظها فتحبطها، أو لا تصبر على المواظبة عليها، فلا تصل الى منزلة شريفة فيها من درجات الاستقامة، أو لا تصبر عن معصية فتقع فيها، أو عن فضول فتشتغل به، أو لا تصبر على مصيبة فتحرم ثواب الصبر. وربما تكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب ذلك، فيكون لك مصيبتان: فوت الشيء وفوت الآخرة

١١ ــ النحل / ١٨.

١٢ ــ الزمر / ١٠.

والعوض وحلول المكروه وحرمان الصبر.

ولقد قيل: حرمان الصبر على المصيبة أشدّ من المصيبة، فأيّ فائدة في شيء يذهب بالحاصل الموجود، ولايردّ عليك الذاهب المفقود؟

فاجتهد انّه اذا فاتك أحدهما، فلا يفوتك الآخر.

والكلام الجامع ماقاله مولانا أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ حين عزّى رجلاً، فقال: «ان صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وان جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور.»[١٣]

فعليك اذا اصابتك مصيبة أو حلّ بك مكروه أن تراعي نفسك عند ذلك، وتضبط قلبك حتى لايجزع، ولا تظهر منك شكاية أوقلق لاسيّما عند الصدمة الأولى، فانّ الشأن هنالك، والنفس متسارعة جدّاً الى عادة الجزع عند ذلك، وتقول: «يا نفسي! هذه قد وقعت فلا حيلة لدفعها، وقد رفع الله تعالى ماهو أكثر منها، فانّ أنواع البلاء في خزانته لكثيرة، وانّ هذه ستنقضي فلا تبقى، وانّها سحابة ستنقشع، فتجلدي يانفسي قليلاً تجدي لذلك سروراً طويلاً وثواباً جزيلاً.» بعد ان لادفع للنازل، ولافائدة في الجزع، فلا مصيبة في الحقيقة مع العزاء والصبر، فتشتغل لسانك بـ «الاسترجاع» وقلبك بذكر مايحصل لك عند الله في ذلك من الأجر، وتتذكّر صبر أولي العزم على المصائب العظام من الأنبياء والأولياء والأعزّة على الله.

واذا حبس عنك الدنيا في وقت، فتقول: يا نفسي! هو أعلم بالحال وأرحم بك وأكرم، انّه الذي يطعم الكلب في خسّته والكافر في عداوته، وأنا عبده العارف الموحّد أساوي عنده رغيفاً أيضاً، فاعلمي بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك إلا لنفع عظيم، وسيجعل الله بعد عسر يسراً، فاصبري قليلاً ترى العجب من لطيف صنعه، أما تسمع القائل يقول:

توقع صنع ربك سوف يأتي ... بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ما ناب خطب ... فكم في الغيب من عجب عجيب

١٣ ــ البحار، ج ٧١، باب الصبر، ص ٩٢؛ ونهج البلاغة، ح ٢٩١، ص ٥٢٧.

وقال الآخر:

اذا اشتدّت بك العسرى ففكّر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين اذا فكّرته فافرح

فاذا أجريت هذه الأفكار ونحوها، وواظبت على ذلك بالتكرير والتمرين، فانّ ذلك سيهوّن عليك اذا كان لك همّة واجتهاد زماناً غير طويل ــ ان شاء الله ــ.

هداية في الزهد:

الزهد في الحرام فرض، وفي الحلال الغير الضروريّ نفل.

وهو قسمان: مقدور للعبد، وغير مقدور. فالذي هو مقدور ثلاثة أشياء: ترك طلب المفقود من الدنيا، وتفريق المجموع منها، وترك ارادتها واختيارها.

والذي هو غير مقدور هو برودة الشيء على قلب الزاهد.

ثمّ المقدور مقدّمة للغير المقدور، فاذا أتى به العبد بأن لايطلب ماليس عنده من الدنيا، و يفرّق ماعنده منها، ويترك بالقلب ارادتها واختيارها لآفاتها أورثتها تلك برودة الدنيا على قلبه لأجل الله وعظيم ثوابه، وهذا هو الزهد الحقيقي.

ثمّ اعلم أنّ أصعب الأمور الثلاثة، انّما هو ترك الارادة بالقلب؛ اذ كم من تارك لها بظاهره محبّ مريد لها بباطنه، فهو في مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة، والشأن كلّه في هذه.

ألم تسمع قوله سبحانه: **«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوّاً في الأرض ولافساداً.»** [١٤] علق الحكم بنفي الارادة دون الطلب والفعل للمراد.

وقوله تعالى: **«من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها.»** [١٥]

وقوله تعالى: **«من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها.»** [١٦]

١٤ ــ القصص / ٨٣.
١٥ ــ الشورى / ٢٠.
١٦ ــ الاسراء / ١٨.

وقوله تعالى: «ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن.»[١٧]
أما ترى أنّ الاشارة في كلّها الى الارادة؟ فأمرها هو المهمّ اذن. لكنّ العبد اذا واظب واستقام على الأوّلين، أعني: الترك والتفريق، فأمول من فضل الله تعالى أن يوفّقه لدفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه، فانّه المفضّل الكريم عزّوجلّ.

ثمّ الذي يبعث على الترك والتفريق، ويهوّن عليك ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها، وقد أكثر الناس من القول في ذلك؛ فمنه قول بعضهم: ترك الدنيا لقلّة غنائها، وكثرة عنائها، وسرعة فنائها، وخسّة شركائها. قيل: لكن تجيء من هذا رائحة الرغبة؛ لأنّ من شكى فراق أحد أحبّ وصاله، ومن ترك شيئاً لمكان الشركاء فيه، أخذه لو انفرد به.

فالقول البالغ فيه ماقاله الآخر: انّ الدنيا عدوّة لله عزّوجلّ، وأنت محبّه، فمن أحبّ أحداً أبغض عدوّه. قال: ولأنّها في أصلها وسخة جيفة.

ألا ترى أنّ آخرها الى القذروالفساد والتلاشي والاضمحلال؟ لكنّها جيفة ضمخت بطيب، وطلبت بزينة، فاغترّ بظاهرها الغافلون، وزهد فيها العاقلون.

هداية في التوكّل:

التوكّل يطلق في ثلاثة مواضع:

أحدها: في موضع القسمة، وهو الثقة بالله، فانّه لايفوتك ماقسّم لك، فانّ حكمه لايتبدّل، وهذا واجب بالسمع.

والثاني: في موضع النصرة، وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله عزّوجلّ لك اذا نصرته وجاهدت؛ قال الله تعالى: «والذين جاهدوافينا لنهدينّهم سبلنا.»[١٨] وقال عزّوجلّ: «فاذا عزمت فتوكّل على الله.»[١٩]

١٧ ـ الاسراء / ١٩.
١٨ ـ العنكبوت / ٦٩.
١٩ ـ آل عمران / ١٥٩.

وقال: «ان تنصروا الله ينصركم.»[٢٠]

وقال: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين.»[٢١]

وهذا واجب بالوعد.

والثالث: في موضع الرزق والحاجة، فانّ الله تعالى متكفّل بما تقيم [به] بنيتك لخدمته، وتتمكّن به من عبادته؛ قال الله تعالى: «ومن يتوكّل على الله فهو حسبه.»[٢٢] أي كافيه.

وقال الصادق الأمين نبيّنا ــ صلى الله عليه وآله ــ: «لو توكّلتم على الله حقّ توكّله، لرزقكم كما يرزق الطيور، وتغدو خماصاً وتروح بطاناً.»[٢٣]

وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والسمع جميعاً، وهذا هو الأشهر الأغلب من التوكّل، وهو معين جدّاً للتفرّغ للعبادة وتمشية الخيرات كلّها، فانّ من لايتوكّل فلابدّ من اشتغاله عن عبادة الله تعالى بطلب الحاجة والرزق والمصلحة، امّا ظاهراً وامّا باطناً؛ امّا بطلب وكسب بالبدن، كعامّة الراغبين، وامّا بذكر وارادة ووسوسة بالقلب، كالمجتهدين المتعلّقين.

والعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن لتحصيل حقّها، والفراغة لا تكون إلا للمتوكلين؛ وقد قال الله عزّوجلّ: «خلقكم ثمّ رزقكم»[٢٤] تنبيهاً على أنّ الرزق من الله لامن غيره كالخلق، ثمّ لم يكتف بالدلالة حتى وعد، فقال: «انّ الله هو الرزّاق»[٢٥]، ثمّ لم يكتف بالوعد حتى ضمن، فقال: «وما من دابّة في الأرض إلا على الله رزقها»[٢٦]، ثمّ لم يكتف بالضمان حتى أقسم، فقال: «فوربّ السماء والأرض انه لحقّ مثل ماأنّكم تنطقون»[٢٧]، ثمّ لم يكتف بذلك كلّه حتى أمر

٢٠ ــ محمد / ٧.

٢١ ــ الروم / ٤٧.

٢٢ ــ الطلاق / ٣.

٢٣ ــ الدر المنثور، الجزء السادس، ذيل ثالث آية من سورة الطلاق؛ وسنن الترمذي والمستدرك للحاكم كما عن المحجة، ج ٧، ص ٣٧٩، و ٤١٧ و البحار، ج ٧١، باب التوكل والتفويض والرضا، ص ١٥١، ح ٥١.

٢٤ ــ الروم / ٤٠.

٢٥ ــ الذاريات / ٥٨.

٢٦ ــ هود / ٦.

٢٧ ــ الذاريات / ٢٣.

بالتوكّل وأنذر وأبلغ، فقال: «وتوكّل على الحيّ الذي لايموت»[٢٨]، وقال عزّوجلّ: «وعلى الله فتوكّلوا ان كنتم مؤمنين»[٢٩].

فمن لم يعتبر قوله، ولم يلتفت بوعده، ولم يطمئنّ قلبه بضمانه، ولم يقنع بقسمه، ثمّ لم يبال بأمره ووعده ووعيده، فانظر ماذا يكون حاله وانتبه، وأيّ محنة تجيء من هذا،وهذه والله مصيبته شديدة، ونحن منها في غفلة عظيمة.

وقد قيل: انّ الملائكة قالت عند نزول هذه الآية: «فورب السماء والأرض»: [٣٠] «هلكت بنوآدم أغضبوا الربّ حتى أقسم هم على ارزاقهم.»

وعن أويس القرني ــ رحمه الله ــ «لوعبدت الله عبادة أهل السماء والأرض لايقبل الله منك حتى تصدّقه. قيل: فيكف نصدّقه؟! قال: تكون آمناً بما تكفّل الله به من أمر رزقك، وترى جسدك فارغاً لعبادته.»

وقد قال هرم بن حيان لأويس (ره): «أين تأمرني أن أقيم؟!» فأومىء بيده الى الشام، قال: «كيف المعيشة فيها؟!» قال: «أفّ لهذه القلوب، لقد خالطها الشّك، فما تنفعها الموعظة.»

وسئل بعض الصلحاء: «هل سلّمت بايمانك ؟!» فقال: «انّما يسلّم الايمان للمتوكّلين.»

نسأل الله أن يصلحنا بفضله، ولايؤاخذنا بما نحن أهله، انّه جواد كريم. فأنت اذا ذكرت ضمان الله وكماله في علمه وقدرته ونزاهته عن الخلف والسهو والعجز والنقض، وواظبت على هذه الأذكار، بعثك على التوكّل في أمر الرزق لامحالة ــ ان شاء الله تعالى ــ. ومن الله التأييد.

هداية في التفويض :

التفويض انّما يكون في مراد لا تعلم يقيناً أنّ لك فيه صلاحاً وفساداً، فليس لك أن تريده قطعاً، بل بالاستثناء فهو تفويض، وشرط الخير والصلاح.

٢٨ ــ الفرقان / ٥٨.
٢٩ ــ المائدة / ٢٣.
٣٠ ــ الذاريات / ٢٣.

فـان قـدرت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض، وان أردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهيّ عنه.

فالتفو يض هو ارادة أن يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر.

قـال الله تـعـالى حـكـاية عن العبد الصالح: **«وأفوّض أمري الى الله، انّ الله بصير بالعباد* فوقاه الله سيّئات مامكروا.»** [٣١]

فأعقب تفو يضه الوقاية من [الأسواء ، و] النصر على الأعداء.

وانّما يـعـيـنـك على تحصيل التفو يض ذكر خطر الأمور وامكان الهلاك والـفساد فيها، فانّ الأمور بالعواقب مبهمة، فكم من شرّ في صورة خير، [وكم من خير في صورة شرّ] وكـم مـن ضرّ في حـلـيـة نـفـع، وكم من سمّ في هيئة شهد، وأنـت الجـاهـل بـالـعـواقـب والأسـرار، فـاذا أردت الأمـور قـطـعـاً، وأخذت فيها بـاخـتـيارك محكماً، فما أسرع يوقعك في هلاك وأنت لا تشعر. و يعينك أيضاً على ذلـك عـجـزك عـن الاعـتـصام عن ضروب الخطر، والامتناع فيها بجهلك وغفلتك وضـعـفـك. وأيضاً فانّك ان فوّضت الأمر كلّه الى الله تعالى، وسألته أن يختار لك مـاهـو صـلاحـك، عـلمت أنّك لا تقع إلا في صلاح وخير، فتكون آمناً من الخطر والمخـافـة، مطمئن القلب في الحال، بخلاف ما اذا كانت مخطرة مبهمة، لا تدري صـلاحـهـا مـن فـسـادهـا، فـتكون مضطرب القلب. وذلك لأ نّ الله عالم بالأمور بجميع جهاتها، ظاهرها و باطنها، حالها ومآلها، **«وربّك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة»** [٣٢]، فـيـختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره مالايبلغه علمك، ولايدركه فهمك، وتشتغل أنت بشأنك الذي يعينك.

فـالمواظـبـة على هذه الأذكار تحملك على تفو يض الأمور كلّها الى الله، والـتـحـفّـظ عـن الحـكـم فيهـا، والامتناع عن ارادتها، الا بشرط الخيار والصلاح ـــ ان شاء الله ـــ .

٣١ ــ المؤمن / ٤٤ ــ ٤٥.

٣٢ ــ القصص / ٦٨.

هداية في الرضا :

الرضا ترك السخط؛ قال الله تعالى: «رضي الله عنهم ورضوا عنه.»[٣٣]

والسخط ذكر غير ماقضى الله تعالى بأنّه أولى به وأصلح له فيما لايستيقن فساده وصلاحه، وهو حرام منهيّ عنه؛

ففي الحديث: «من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، فليخرج من أرضي وسمائي، وليتخذ ربّاً سوائي.»[٣٤]

وفي الخبر: «أنّ نبيّاً من الأنبياء شكى بعض ما ناله من المكروه الى الله تعالى، فأوحى الله سبحانه اليه: أتشكوني ولست بأهل ذمّ، ولاشكوت أنت أهل الذمّ والشكوى؟ هكذا بدو شأنك في علم الغيب، فلم تسخط قضائي عليك، أتريد أن أغيّر الدنيا لأجلك، وأبدّل اللوح المحفوظ بسببك، فأقضي ماتريد دون ما أريد، و يكون ماتحبّ دون ماأحبّ؟ فبعزّتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرّة أخرى، لأسلبنّك ثوب النبوّة، ولأوردنّك النار، ولا أبالي.»

قيل: فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع أنبيائه وأصفيائه، فكيف مع غيرهم؟!

ثمّ ليستمع مايقول: «لئن تلجلج هذا في صدرك مرّة أخرى»، فهذا في حديث النفس وتردّد القلب، فكيف بمن يصرخ و يستغيث و يشكو وينادي بالويل والصراخ من ربّه الكريم المحسن على رؤوس الخلائق، ويتّخذ له أعواناً وأصحاباً؟ وهذا لمن سخط مرّة، فكيف بمن هو في السخط على الله تعالى جميع عمره؟! ولمن شكى اليه؟! فكيف بمن شكى الى غيره؟! نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا.

و يكفي في الرضا بالقضاء تأمّل أصلين مقنعين:

أحدهما، ما في الرضا من الفائدة في الحال والمآل؛ فأمّا فائدة الحال ففراغ القلب وقلّة الهمّ من غير فائدة، فانّك اذا لم ترض بالقضاء تكون مهموماً مشغول

٣٣ ـــ المائدة / ١١٩.

٣٤ ـــ البحار، ج ٥، باب القضاء والقدر، ص ٩٥، ح ١٨.

القلب أبداً، بأنّه لم كان كذا، ولماذا لايكون كذا؟! فأيّ موضع يبقى في قلبك لذكر الله والعبادة وفكر الآخرة؟ ونعم ماقيل: انّ حسرة الأمور الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعتك هذه.

وقال نبيّنا ــ صلى الله عليه وآله ــ لابن مسعود: «**ليقلّ همّك، ماقدّر يكن، وما لم يقدّر لم يكن.**»

هذا هو الكلام الجامع النبويّ البالغ مع قلّة اللفظ وكثرة المعني.

وأمّا الفائدة في المآل، فثواب الله تعالى ورضوانه لقوله: «**رضي الله عنهم ورضوا عنه**» [٣٥]، وقال: «**ورضوان من الله أكبر.**» [٣٦] و ما في السخط من الهمّ والحزن والضجر في الحال ومن الوزر والعقوبة في الآخرة بلا فائدة؛ اذ القضاء نافذ، ولا ينصرف بهمّك وسخطك؛ كما قيل: شعر:

مالايكون فلايكون بحيلة أبدا ‌ ‌ ‌ وما هو كائن سيكون

سيكون ماهو كائن في وقته ‌ ‌ ‌ وأخو الجهالة متعب محزون

فالعاقل لايختار الهمّ بلا فائدة مع الوزر والعقوبة على راحة القلب وثواب الجنّة.

الاصل الثاني: مافي السخط من الخطر العظيم والضرر والكفر والنفاق، إلا أن يتدارك الله برحمته، فتأمّل قوله تعالى: «**فلا وربّك لايؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم، ثمّ لايجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت، ويسلّموا تسليماً.**» [٣٧]

نفى الايمان وأقسم عمّن سخط قضاء رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ فكيف حال من سخط قضاء الله سبحانه؟ فقل لنفسك: «يانفس! لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا، هو مولانا وهو حسبنا ونعم الوكيل»، ووطّن قلبك على أنّ مايقضي الله لك فهو الأوفق لك والأصلح، وان كان ذلك لايبلغ علمنا بكيفيّته وسرّه، وقل: «يا نفس! المقدّر كائن لامحالة، والهمّ فاضل، فلا فائدة في السخط والخيرة فيما صنع الله، فلا وجه للسخط. ألست تقولين: «رضيت بالله ربّاً

٣٥ ــ المائدة / ١١٩.

٣٦ ــ التوبة / ٧٢.

٣٧ ــ النساء / ٦٥.

و بالاسلام ديناً» فكيف لا ترضين بقضائه، والقضاء من شأن الربوبيّة وحقّها؟»

ولقد سئل بعض السلف : ماالعبوديّة والربوبيّة؟ فقال: «الربّ يقضي والعبد يرضى، فاذا قضى الربّ ولم يرض العبد، فهناك ربوبيّة ولاعبوديّة.» فتأمّل هذا وانظر لنفسك، لعلّك تسلم بعون الله وتوفيقه.

هداية في الخوف والرجاء :

الخوف رعدة في القلب على ظنّ مكروه يناله. وفائدته أن يزجرك عن المعاصي، ويمنعك عن العجب في الطاعات. والرجاء ابتهاج في القلب بمعرفة فضل الله وسعة رحمته. وفائدته أن يبعثك على الطاعة، ويهوّن عليك احتمال الشدائد والمشقّات فيها. فاذا لم يكن لك سبيل الى الامتناع عن اليأس إلا به، فهو فرض، و إلا فهو نفل، بعد اعتقادك جملة في فضل الله وسعة رحمته.

وطريقهما طريق عدل بين طريقين جائرين مهلكين: أحدهما، طريق الأمن، والآخر، طريق اليأس؛ فان غلب عليك الرجاء حتّى فقدت الخوف، ألبتة وقعت في طريق الأمن «لايأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.»[38] وان غلب عليك الخوف حتّى فقدت الرجاء البتة وقعت في طريق اليأس و «لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.»[39] فان كنت بين الخوف والرجاء، واعتصمت بهما جميعاً، فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو سبيل أولياء الله وأصفيائه، الذين وصفهم بقوله عزّوجلّ: «انّهم كانوا يسارعون في الخيرات، ويدعوننا رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين.»[40]

وإنّما المقدورمنهما مقدّماتها، ولكلّ أربع مقدّمات. امّامقدمات الخوف:

فالأولى: ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت، وكثرة الخصوم الذين مضوا، وأنت في المظالم مرتهن، لم يتبيّن لك الخلاص بعد.

والثانية: ذكر شدّة عقوبة الله التي لاطاقة لك بها.

٣٨ ــ الأعراف / ٩٩.
٣٩ ــ يوسف / ٨٧.
٤٠ ــ الأنبياء / ٩٠

والثالثة: ذكر ضعف نفسك عن احتمالها.

والرابعة: ذكر قدرة الله عليك متى شاء، وكيف شاء.

وأمّا مقدّمات الرجاء:

فالأولى: ذكر سابق فضل الله عليك من غير قدّام وشفيع.

والثانية: ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه، من دون استحقاقك اياه بالفعل؛ اذ لو كان على حسب الفعل، لكان أصغر شيء وأقلّ أمر.

والثالثة: ذكر كثرة النعم لله تعالى عليك في أمر دينك ودنياك في الحال من أنواع الامداد والألطاف، من غير استحقاق وسؤال.

والرابعة: ذكر سعة رحمة الله وسبقها غضبه، وأنّه الرحمن الرحيم الغنيّ الكريم، الرؤوف بعباده المؤمنين.

فاذا واظبت على هذين النوعين من الأذكار، أفضى بك الى استشعار الخوف والرجاء بكلّ حال، والله وليّ التوفيق بفضله.

هداية في النيّة:

النيّة شرط في العبادات كلّها، فلا يصحّ شيء منها بدونها؛ قال النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**انّما الأعمال بالنيّات.**»[٤١] وهي فرض في الفرائض، ونفل في النوافل. وأفضلها مايكون خالصة لله تعالى، لايشوبها غرض آخر، وبعدها مايكون لطلب الجنّة أو الخلاص من النار؛

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: «العباد ثلاثة: **قوم عبدوا الله خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله طمعاً فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله حبّاً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.**»[٤٢]

أمّا اذا نوى الرياء فقد أحبط عمله، وصارت طاعته معصية.

٤١ ـ حديث مشهور بين الفريقين.

٤٢ ـ الكافي، ج ٢، باب العبادة، ص ٨٤، ح ٥ إلا أنّه فيه: «طلب الثواب» عوض «طمعاً»؛ والبحار، ج ٧٠، باب العبادة والاختفاء فيها، ص ٢٥٥، ح ١٢، نقلاً عنه.

وكما أنّ الطاعة تصير معصية بالنيّة فكذلك المباحات تصير طاعات بالنيّات، فانه ما من مباح إلا ويحتمل نيّة أو نيّات يصير بها من محاسن القربات، وينال بها أعظم الدرجات، ويحتمل نيّة أو نيّات يصير بها من أعظم المعاصي؛ كما جاء في الحديث: **«من تطيّب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيّب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة.»** [٤٣]

وذلك لأنّ من تطيّب مثلاً يوم الجمعة أو غيره من الأوقات، فيمكن أن يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران، ويقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم، ويذكر بطيب الرائحة، أو يتودّد في قلوب النساء الأجنبيّات اذا كان متهيّأ للنظر اليهنّ، أو لأمور أخرى لاتحصى. وكلّ هذا يجعل التطيب معصية، فبذلك يكون أنتن من الجيفة يوم القيامة.

ويمكن أن يقصد به اتباع سنّة النبيّ ــ صلى الله عليه وآله ــ يوم الجمعة، وأن ينوي به تعظيم المسجد واحترام بيت الله، فلايرى أن يدخله زائراً لله تعالى إلا طيّب الرائحة، وأن يقصد به ترويح جيرانه، ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تودّي إلى ايذاء مخالطيه وأن يقصد به حسم باب الغيبة على المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة، فيعصون الله عزّوجلّ بسببه، فمن تعرّض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية، وأن يقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاءه، ويسهل عليه درك مهمّات دينه بالفكر. فقد قيل: من طاب ريحه زاد عقله. الى غير ذلك من النيّات الحسنة. وهذا كلّه طاعة يؤجر عليها، وبذلك يكون أطيب ريحاً من المسك.

ويمكن أن يقصد به التلذّذ والتنعّم، وهذا مباح ليس بمعصية ولاطاعة، إلا أنّه يسأل عنه ويحاسب عليه. ومن أوتي شيئاً من مباح الدنيا لم يعذّب عليه في الآخرة، ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره. وناهيك خسراناً بأن تستعجل مايفنى، وتخسر زيادة نعيم يبقى؛ ولهذا قال بعض السلف : «انّي لأستحبّ أن

٤٣ ــ راجع المحجة، ج ٨، ص ١٠٥، وقد نقله عن أبي الوليد الصفار في كتاب الصلوة.

يكون لي في كلّ شيء نيّة حتّى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الخلا.»

وكلّ ذلك ممّا يمكن أن يقصد به وجه الله؛ لأنّ كلّ ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمّات البدن، فهو معين على الدين. فمن كان قصده من الأكل التقوّي على العبادة، ومن الوقاع تحصين دينه، وتطييب قلب أهله، والتوصل به الى ولد [صالح] يعبد الله فيكثر به أمّة محمّد ـــ صلى الله عليه وآله ـــ كان مطيعاً بأكله ونكاحه، وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع، وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه همّ الآخرة.

والمباحات كثيرة ولايمكن احصاء النيّات فيها، فقس على ماذكر غيره.

وهذا معنى قول النبيّ ـــ صلى الله عليه وآله ـــ: **«انّما الأعمال بالنيّات، ولكلّ امرىء مانوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوّجها فهجرته الى ما هاجر اليه.»** [٤٤]

وقال صلى الله عليه وآله: **«انّ الله لاينظر الى صوركم ولا الى أبدانكم، ولكن ينظر الى قلوبكم ونيّاتكم.»** [٤٥]

وقال صلى الله عليه وآله: **«انّ العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مجتمعة مختتمة، فتلقى بين يدي الله عزّوجلّ فيقول: ألقوا هذه الصحيفة، فانّه لم يرد بما فيها وجهي، ثمّ ينادي الملائكة: اكتبوا له كذا وكذا، فتقولون: ياربّنا! انّه لم يعمل شيئاً من ذلك، فيقول: انّه نواه»** [٤٦]

وقال صلّى الله عليه وآله: **«الناس أربعة: رجل آتاه الله تعالى علماً يعمل بعلمه في ما آتيه، فيقول رجل: لوآتاني الله ماآتاه لعملت كما يعمل، فهما في الأجر سواء؛ ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً، فهو يتخبّط بجهله في ماله، فيقول رجل: لوآتاني الله مثل ماآتاه لعملت كما يعمل، فهما في الوزر سواء.»** [٤٧]

٤٤ ـــ صحيح البخاري، ج ١، ص ٢١؛ والبحار، ج ٧٠، باب الاخلاص، ص ٢٤٩، ح ٢٤، وباب النية، ص ٢١١، ح ٣٥.

٤٥ ـــ جامع الأخبار، باب الاخلاص؛ والبحار، ج ٧٠، باب الاخلاص، ص ٢٤٨، ح ٢١، نقلاً عنه؛ وكنزالعمال، ج ٣، ص ٢٣؛ وسنن ابن ماجة، ج ٢، كتاب الزهد، باب ٩، ح ٤١٤٣.

٤٦ ـــ نقله الدارقطني كما عن المحجة، ج ٨، ص ١٠٣.

٤٧ ـــ سنن ابن ماجة، باب النية، ح ٤٢٢٨.

ألا ترى كيف شركه في النيّة في محاسن عمله ومساويه؟
الى غير ذلك من الأخبار في هذا المعنى، وهي كثيرة.

حقيقة النيّة والاستعانة عليها :

وليست النيّة هي قول الرجل في نفسه عند تدريسه مثلا، أو تجارته أو أكله: نويت أن أدرس لله تعالى أو أتّجر أو آكل، ويظنّ أنّ ذلك نيّة. هيهات! فذلك حديث النفس أو حديث لسان أو فكرة وانتقال من خاطر الى خاطر، والنيّة بمعزل عن جميع ذلك. وانّما النيّة انبعاث النفس و توجّهها أو ميلها الى ماظهر لها أنّ فيه غرضها، امّا عاجلاً أو آجلاً.

والميل اذا لم يكن لايمكن اختراعه واكتسابه بمجرّد الارادة، بل ذلك كقول الشبعان: «نويت أن أشتهي الطعام أو أميل اليه»، أو قول الفارغ: «نويت أن أعشق فلاناً وأحبه وأعظّمه بقلبي»، وذلك محال، بل لاطريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجّهه نحوه، إلا باكتساب أسبابه، وذلك ممّاقد يقدر عليه وقد لايقدر عليه. وانمّا ينبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق الملائم لها، وما لايعتقده الانسان أنّ غرضه منوط بفعل من الأفعال، فلايتوجّه نحوه قصده، وذلك ممّا لايقدر على اعتقاده في كلّ حين، واذا اعتقد فانّما يتوجّه القلب اذا كان فارغاً غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه، وذلك لايمكن في كلّ وقت.

والدواعي والصوارف لهما أسباب كثيرة، وانّما يعينك على نيّة الخيرات تقوية الايمان بالشرع، وتعظيم الثواب، وتغليب أمر الدين على القلب والاهتمام به، والله الموفق والمعين.

هداية في الاخلاص :

الاخلاص اخلاصان:

١) اخلاص العمل.

٢) اخلاص طلب الآخرة.

فأمّا اخلاص العمل، فهو ارادة التقرّب الى الله تعالى، وتعظيم أمره واجابة دعوته، والباعث عليه الاعتقاد الصحيح. وضدّه النفاق، وهو التقرّب الى من دون الله. وهو محبط للعمل، مخرج له من كونه قربة مستحقاً عليه الثواب.

وأمّا الاخلاص في طلب الآخرة، فهو ارادة نفع الآخرة بعمل الخير.

تعريف الاخلاص وحقيقته :

قال الحواريوّن لعيسى ــ على نبيّنا وآله وعليه السلام ــ: ماالخالص من الأعمال؟ قال:«الّذي تعمل لله، لاتحبّ أن يمدحك عليه أحد.»[48]

وهذا تعرّض لترك الدنيا، وانّما خصّه بالذكر لأنّه أقوى الأسباب المشوّشة للاخلاص.

وسئل نبيّنا ــ صلى الله عليه وآله ــ عن الاخلاص، فقال: **«تقول ربّي الله، ثمّ تستقيم كما أمرت.»**[49]

أي: لا تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلا ربّك، فتستقيم في عبادته كما أمرت، وهذ اشارة الى قطع كلّ ماسوى الله عن مجرى النظر، وهو الاخلاص حقّاً.

وضدّه الريا، وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة، وهو يخرج العمل عن القبول والأجر؛ قال أمير المؤمنين ــ عليه السّلام ــ : **«لاتهتمّوا لقلّة العمل واهتمّوا للقبول، فانّ النبيّ ــ صلى الله عليه وآله ــ قال لمعاذ بن جبل: أخلص العمل يجزك منه القليل.»**[50]

وقال صلى الله عليه وآله: **«ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.»**[51]

٤٨و٤٩ ــ لم نعثر عليه فيما بأيدينا من المآخذ.

٥٠ ــ أخرجه ابن أبي الدنيا في الاخلاص والحاكم في المستدرك كما عن المحجة، ج ٨، ص ١٢٦.

٥١ ــ البحار، ج ٧٠، باب الاخلاص، ص ٢٤٢، ح ١٠ وص ٢٤٩، ح ٢٤؛ وكنزالعمال، ج ٣، ص ٢٤، ح ٥٢٧١.

واعلم أنّ العمل الذي لم ترد به إلا الرياء فهو عليك قطعاً، وهو سبب المقت والعقاب، والذي لم ترد به إلا الله فهو لك قطعاً، وهو سبب رضوان الله والثواب.

وأمّا المشوب بشوب من الرياء أو حظّ من حظوظ النفس فقد اختلف العلماء في كونه لك أو عليك، أو لا لك ولا عليك، وقال بعض محقّقيهم: «ان كان الباعث الديني مساوياً للباعث النفسي تقاوما وتساقطا، وصار العمل لا لك ولا عليك، وان كان الرياء أغلب وأقوى فهو عليك.» نعم، العقاب الذي فيه أخفّ من عقاب العمل المجرّد من الرياء وان كان قصد التقرّب أغلب، فلك ثواب بقدرها فضل من قوّة الباعث الديني، وهذا لقوله تعالى: «**فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره.**» [٥٢] ولقوله: **إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة**» [٥٣] فلا ينبغي أن تضيع قصد الخير.

ولنقتصر على هذا القدر من بيان الفرائض، وإن شئت زيادة على هذا أو بياناً للنوافل ومحاسن الأخلاق، فارجع الى كتابنا المسمّى بـ«المحجّة البيضاء في تهذيب الاحياء» والله الموفّق.

---

٥٢ ــ الزلزلة / ٧ ــ ٨.

٥٣ ــ النساء / ٤٠.

[٤]

باب معاصي القلب

هداية:

معـاصي القلب؛ هي صفاته المذمومة وأخلاقه الردية، وهي في مقابلة الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة التي هي طاعات القلب، وقد علمتها، فقس هذه على تلك، فرضها ونفلها، فانّ الأشياء انّما تعرف بأضدادها:

فـضـدّ الـتـو بـة الاصرار،وضدّ الشكر الكفران،وضدّ الصبر الجزع ،وضدّ الزهد الحـرص،وضـدّ الـتـوكـلّ حـبّ الـدنـيـاوضـدّ الـتفو يض الطمع ،وضدّ الرضا السخط ، وضـدّ الـتـسليم الحسـد والاعتراض، وضدّ النيّة السهو والغفلة، وضدّ الاخلاص الـنـفـاق والرياء ، وتعلّم العلوم المحرّمة كالكهانة والنجوم، وهو بمنزلة الضدّ لتعلّم الـعـلـوم الـديـنـيّـة الـواجـبـة، وكـذلك العلوم المستحبّة قبل الواجبة، بل الواجبة الـكـفـائيّة قبل العينيّة، فانّه أيضاً غير جائز، إلا أن تقصد الاستعانة بعض العلوم على بعض،فتنبّه لهذا ولا تكن من الغافلين.

وضدّ الحكمة، التي هي التوسّط في القوّة العقليّة طرفاه المذمومان الجربزة والـبـلـه، ويـنـدرج تحتها: الـدهـاء والغمارة والحمق والجنون. وضدّ العفّة الشره والخـمـود، ويـنـدرج تحتها: الـوقـاحـة والخـبـث والـتـبذير والتقتير والريا والهتكة والكزازة والمجانة والعبث والتحاشي والشكاسة والملق والحسد والشماتة.

وضـدّ الـشـجـاعـة هـو التهوّر والجبن، ويـنـدرج تحتها: الـبذخ والبذارة

والجسارة والنكول والتقبّح وصغر النفس والهلع والاستشاطة والتكبّر والتحامس والعجب والمهانة. فما يميل من المذكورات الى جانب الزيادة، فهو تحت الجربزة أو الشرّه أو التهوّر.

ومايميل الى جانب النقصان، فهو تحت البله أو الخمود أوالجبن، وتفصيل ذلك و بيانها يطلب من كتب الأخلاق.

والفضيلة الحاصلة من التجنب عن هذه الرذائل والتحلّي بالفضائل الثلاثة تسمىّ بالعدالة؛ رزقنا الله الاتّصاف بها وسائر المؤمنين.

ولنورد ما أفاده بعض العلماء في مهلكات هذه المعاصي التي هي أمّهات بجملة من الخبائث سواها، وهي الحسد والرياء والعجب.

هداية في الحسد والرياء والعجب:

قال رحمه الله: لا تظننّ أنّه تسلم لك نيّة صالحة في تعلّم العلم وفي قلبك شيء من الحسد والرياء والعجب؛ وقد قال النبيّ ــ صلى الله عليه وآله ــ: **«ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متّبع، واعجاب المرء بنفسه.»** [١]

الحسد:

أمّا الحسد، فهو منشعب من الشحّ، فانّ البخيل هو الذي يبخل بما في يديه على غيره، فالذي يبخل بنعمة الله تعالى وهي في خزائن قدرة الله لا في خزانته على عباد الله، فشحّه أعظم.

والحسود: هو الذي يشقّ عليه انعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بمال أو علم أو محبّة في قلوب الناس أو حظّ من الحظوظ، حتّى أنّه ليحبّ زوالها عنه وان لم تحصل له. وهذا منتهى الخبث، ولذلك قال ــ صلى الله عليه وآله ــ: **«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.»** [٢]

١ ــ الخصال، باب الثلاثة، ص ٨٤، ح ١١ و ١٢؛ والبحار، ج ٧٢، باب استكثار الطاعة والعجب بالأعمال، ص ٣١٤، ح ١٣، نقلاً عنه.

٢ ــ جامع الأخبار، باب الحسد؛ والبحار، ج ٧٣، باب الحسد، ح ٢٦ و ٣٠ و ٣٢.

والحسود: هو المعذّب الذي لايرحم، ولايزال في عذاب دائم، فانّ الدنيا لاتخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممّن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه، فلا يزال في عذاب دائم في الدنيا الى موته، ولعذاب الآخرة أشدّ وأكبر، بل لايصل العبد الى حقيقة الايمان، مالم يحبّ لسائر المؤمنين مايحبّ لنفسه. بل ينبغي أن يساهم المسلمين في السرّاء والضرّاء، فالمسلمون كالبنيان الواحد يشدّ بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر البدن. فان كنت لا تصادف هذا من قلبك، فاشتغالك بطلب التخلّص من الهلاك أهمّ من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات.

الرياء:

وأمّا الرياء، فهو الشرك الخفيّ، وهو أحد الشركين، وذلك طلبك المنزلة في قلوب الخلق، لتنال بذلك الجاه والحشمة. وحبّ الجاه من الهوى المتّبع المهلك، وفيه هلك أكثر الناس، ولو أنصفوا لعلموا أنّ أكثر ماهم فيه من العلوم والعبادات فضلاً عن أعمال العادات، ليس يحملهم عليها إلا مراءات الناس، وهي محبطات للأعمال، حتّى ورد في الأخبار[٣] «أنّ الشهيد يؤمر به يوم القيامة الى النار، فيقول: ياربّ! استشهدت في سبيلك، فيقال: أردت أن يقال شجاع، فقد قيل، وذلك أجرك. » وكذلك يقال للعالم وللحاجّ وللقارئ.

العجب:

وأمّا العجب والكبر والفخر، فهو الداء العضال، وهو نظر العبد الى نفسه بعين العزّ والاستعظام، ونظره الى غيره بعين الاحتقار، ونتيجته على اللسان أن يقول: أنا وأنا؛ كما قال ابليس اللعين: **«أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين.»**[٤] وثمرته في المجالس الترفّع والتقدّم وطلب التصدّر، وفي المحاورة الاستنكاف من أن يرد كلامه عليه. والمتكبّر هو الذي ان وعظ أنف، وان وعظ

٣ ــ البحار، ج ٧٢، باب الرياء، ص ٣٠١، ح ٤٤.

٤ ــ الأعراف / ١٢؛ وص ٧٦.

عنف. وكلّ من رأى نفسه خيراً من أحد من خلق الله، فهو متكبّر، بل ينبغي أن يعلم أنّ الخير من هو خير عند الله في الدار الآخرة. وذلك غيب وهو موقوف على الخاتمة.

فاعتقادك في نفسك لأنّك خير من غيرك جهل محض، بل ينبغي أن لا تنظر الى أحد إلا وترى أنّه خير منك، وأنّ الفضل له على نفسك؛ فان رأيت صغيراً قلت: هذا يعص الله وأنا فلاأشكّ انّه خير منّي، وان رأيت كبيراً قلت: هذا عبدالله تعالى قبلي، وان كان عالماً قلت: هذا أعطي مالم أعط، و بلغ مالم أبلغ، وعلم ماجهلت، فكيف أكون مثله؟ وان كان جاهلاً قلت: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيت الله بعلم، فحجّة الله علي أوكد، وما أدري بم يختم لي و بم يختم له، وان رأيت كافراً قلت: لاأدري، عسى أن يسلم و يختم له بخير العمل، وينسلّ باسلامه من ذنوبه، كما ينسل الشعر من العجين، وأمّا أنا فعسى أن يضلّني الله فأكفر، و يختم لي بشرّ العمل، فيكون هو غداً من المقرّبين وأنا من المبعدين.

ولا يخرج الكبر من قلبك، إلا بأن تعترف بأنّ الكبير من هو كبير عند الله وذلك موقوف على الخاتمة، وهو مشكوك فيه، فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبّر مع الشكّ فيها على عبادة الله. و يقينك وايمانك في الحال لايناقض تجويزك التغيّر في الاستقبال، فانّ الله مقلّب القلوب، يهدي من يشاء و يضلّ من يشاء.

والأخبار في الحسد والكبر والرياء كثيرة، ويكفيك فيها حديث واحد جامع، فاسمع:

«روى ابن المبارك باسناده عن رجل أنّه قال لمعاذ: يا معاذ! حدّثني حديثاً سمعته عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ قال: فبكى معاذ حتّى ظننت أنّه لايسكت، ثمّ سكت، ثمّ قال:

سمعت النبيّ ــ صلى الله عليه وآله ــ يقول لي: **يامعاذ! اني محدّثك بحديث ان أنت حفظته تنفعك، وان أنت ضيّعته ولم تحفظه انقطعت حجّتك عند الله يوم القيامة.**

يا معاذ! انّ الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات والأرض، فجعل لكلّ

سماء من السبعة ملكاً بوّاباً عليها، فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى أن أمسى، له نور كنور الشمس حتّى اذا طلعت به الى السماء الدنيا ذكرته فكثرته، فيقول الملك للحفظة: اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه؛ أنا صاحب الغيبة، أمرني ربّي أن لاأدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري.

قال: ثمّ تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد، وتزكّيه وتكثّره حتّى تبلغ به الى السماء الثانية، ويقول الملك الموكّل بالسماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، انّه أراد بعمله هذا عرض الدنيا، أمرني ربّي أن لاأدع عمله يجاوزني الى غيري، انّه كان يفتخر على الناس في مجالسهم.

قال: وتصعد الحفظة بعمل عبد يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة وقد أعجب الحفظة، فيجاوزون له الى السماء الثالثة، فيقول لهم الملك الموكّل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الكبر، أمرني ربّي أن لاأدع عمله يجاوزني الى غيري، انّه كان يتكبّر على الناس في مجالسهم.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدريّ وله دويّ من تسبيح وصلاة وحجّ وعمرة، حتّى تجاوزوا به الى السماء الرابعة، فيقول لهم الملك الموكّل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه، أنا صاحب العجب، أمرني ربّي أن لاأدع عمله يجاوزني الى غيري، انّه كان اذا عمل عملاً أدخل العجب فيه.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد، حتّى تجاوز الى السماء الخامسة، كأنّه العروس المزفوف الى أهلها، فيقول لهم الملك الموكّل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه، أنا ملك الحسد، انّه كان يحسد من يتعلّم ويعمل بمثل عمله، وكلّ من كان يأخذ فضلاً من العبادة، كان يحسدهم ويقع منهم، أمرني ربّي أن لاأدع عمله يجاوزني الى غيري.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحجّ وعمرة وصيام، فتجاوزوا به الى السماء السادسة، فيقول لهم الملك الموكّل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، انّه كان لايرحم انساناً قطّ من عباد الله أصابه بلاء أو ضرّ، بل كان يشمت به، أنا ملك الرحمة، أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد

وورع، لـه دويّ كدويّ النحل، وضوء كضوء الشمس، معه ثلاث آلاف ملك، فيجاوزن به الى السماء السابعة، فيقول الملك الموكّل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، اضربوا به جوارحه، اقفلوا على قلبه، انّي أحجب عن ربّي كلّ عمل لم يرد به ربّي، انّه انّما أراد بعمله غير الله، انّـه أراد بـه رفعة عند الفقهاء، وذكراً عند العلماء، وصوتاً في المداين؛ أمرني ربّي أن لاأدع عمله يجاوزني الى غيري، وكلّ عمل لم يكن لله خالصاً، فهو رياء، ولايقبل الله عمل المرائي.

قـال: وتـصعـد المـلائكة بعـمل العبد من صلاة وزكاة وحجّ وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله، وتشيّعه ملائكة السماوات حتّى تقطع الحجب كلّها الى الله عزّوجلّ، فيقفون بين يديه، و يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى، فيقول الله تبارك وتعالى لهم: انتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على قلبه، انّه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري، فعليه لعنتي، فتقول الملائكة كلّها: عليه لعنتك ولعنتنا، وتقول السماوات كلّها: عليه لعنة الله ولعنتنا، وتلعنه السماوات السبع ومن فيهنّ.

قـال معاذ: قلت: يارسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ! أنت رسول الله وأنا معاذ!

قال: اقتد بي، وان كان في علمك نقص. يا معاذ! حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن، واحمل ذنوبك عليك، ولاتحملها عليهم، ولا تزكّ نفسك بذمّهم، ولا ترفع نفسك عليهم، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة، ولا تتكبّر في مجلسك، لكي يحذر النأس من سوء خلقلك، ولا تناج رجلاً وعندك [رجل] آخر، ولا تتعظّم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا، ولا تمزّق للناس، فتمزّقك كلاب النار يوم القيامة في النار؛ قال الله تعالى: «والناشطات نشطاً» [٥]، تدري ماهي يامعاذ؟!

قال: قلت: ماهي بأبي أنت وأمّي يارسول الله؟

قال: كلاب في النار ينشط اللحم والعظم.

قلت: بأبي أنت وأمّي يارسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها؟!

قال: يا معاذ! اِنّه ليسير على من يسّر الله عليه.

قال: فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث. [٦]

٥ ــ النازعات / ٢.

٦ ــ البحار، ج ٧٠، باب الاخلاص، ص ٢٤٦، ح ٢٠.

واعلم أنّ هذه الخصال الثلاث من أمّهات خبائث القلب، ولها مغرس واحد وهو حبّ الدنيا؛ ولذلك قال ــ صلّى الله عليه وآله ــ : «**حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.**»[٧]

ومع هذا فالدنيا مزرعة الآخرة، فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة ليستعين به على الآخرة، فالدنيا مزرعتة، ومن أرادالدنيا للتنعّم بها، فالدنيا مهلكته.

ولنقتصر على هذا القدر في معاملتك مع الله بأداء أوامره، واجتناب نواهيه، ونشير الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ بها نفسك في مخالطتك مع عباد الله، وصحبتك معهم في الدنيا على ما استفدناه من بعض العلماء.

٧ ــ حديث مشهور متفق بين الفريقين.

[٥]
باب آداب الصحبة والمعاشرة

هداية :

اعلم أنّ صاحبك الذي لايفارقك في حضرك وسفرك ونومك و يقظتك، بل في حياتك و موتك، هو ربّك ومولاك وسيّدك وخالقك. ومهما ذكرته فهو جليسك؛ اذ قال: **«أنا جليس من ذكرني.»** [١] ومهما انكسر قلبك حزناً على تقصيرك في حقّ دينك، فهو ملازمك وصاحبك، اذ قال **«أنا عند المنكسرة قلوبهم.»** [٢] فلو عرفته حقّ المعرفة لا تّخذته صاحباً، وتركت الناس جانباً. فان لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك ، فايّاك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك ، وتتلذّذ معه بمناجاته.

وعند ذلك فعليك أن تتعلّم أدب الصحبة مع الله عزّوجلّ، وأدبها: اطراق الطرف، وجمع الهمّ، ودوام الصمت، وسكون الجوارح، ومبادرة الامر واجتناب النهي، وقلّة الاعتراض على القدر، ودوام الذكر، و ملازمة الفكر، وايثارك الحقّ، واليأس من الخلق، والخضوع تحت الهيبة، والانكسار تحت الحياء، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان، والتوكّل على فضل الله، ومعرفة بحسن الاختيار.

وهذا كلّه ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك ، فانّه أدب

١ ــ عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٤٦، ح ١٧٥؛ والبحار، ج ٩٣، باب ذكر الله تعالى، ص ١٥٦، ح ٢٥، نقلاً عنه.

٢ ــ راجع المحجّة، ج ٧، ص ٣٢٥، وقد ذكر فيه أنّ الله تعالى أوحى إلى إسماعيل ــ عليه السلام ــ: «اطلبني ←

الصحبة مع صاحب لايفارقك، والخلق يفارقونك في بعض أوقاتك.

هداية: آداب الصحبة، اذا كنت عالماً:

فان كنت عالماً، فأدب العالم سبعة: الاحتمال ولزوم الحلم، والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع اطراق الرأس، وترك التكبّر على جميع العباد، إلا على الظلمة زجراً لهم عن الظلم، وايثار التواضع في المحافل والمجالس، وترك الهزل والدعابة،والرفق بالمتعلّم والتأنّي بالمتعجرف، واصلاح البليد بحسن الارشاد، وترك الحرد عليه، وترك الأنفة من قول: لا أدري، وصرف الهمّة الى السائل وتفهّم سؤاله، وقبول الحجّة والانقياد الى الحقّ بالرجوع اليه عند الهفوة ومنع المتعلّم من كلّ علم يضرّه، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله، وصدّ المتعلم أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ بفرض العين، وفرض عينه اصلاح ظاهره و باطنه بالتقوى، ومؤاخذة نفسه أولاً بالتقوى ليقتدي المتعلّم أوّلا بأعماله، ويستفيد ثانياً من أقواله.

قال مولانا زين العابدين ـ عليه السلام ـ : «**وأمّا حقّ رعيتك بالعلم، فأن تعلم أنّ الله تعالى انّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزانة الحكمة، فان أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم، ولم تزجر عليهم، زادك الله من فضله، وان أنت منعت الناس علمك، أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك، كان حقاً على الله أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلّك.**» [٣]

هداية: آداب الصحبة، اذا كنت متعلّماً:

وان كنت متعلّماً، فأدب المتعلم مع العالم أن يبدأه بالتحيّة والسلام، وأن يقلّ بين يديه الكلام، ولايتكلّم مالم يسأله أستاذه، ولايسأل مالم يستأذن أوّلاً، ولايقول في معارضة قوله: قال فلان خلاف ماقلت، ولايشير عليه بخلاف

←

عند المنكسرة قلوبهم».

٣ و ٥ ـ الفقيه، ج ٢، باب الحقوق، ص ٣٧٦؛ والمكارم، باب الثاني عشر، ص ٤٨١؛ والبحار، ج ٧٤، باب جوامع الحقوق، ص ٢، ح ١.

رأيه، فيري أنّه أعلم بالصواب من أستاذه، ولايسار عليه في مجلسه، ولا يلتفت الى جوانب بل يجلس متأدّباً مطرقاً كأنّه في الصلاة، ولايكثر عليه عند ملاله، واذا قام قام له ولم يتبعه بكلامه وسؤاله، ولايسأله في طريقه الى أن يبلغ الى منزله، ولايسيء الظنّ به في أفعال ظاهرها منكر عنده وهو أعلم بأسراره، وليتذكّر عند ذلك قول موسى للخضر ـ عليهما السلام ـ : **«أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمراً.»** [٤] وكونه مخطئاً في أفكاره اعتماداً على الظاهر.

هداية: آداب الصحبة، ان كان لك والدان:

وان كان لك والدان، فأدب الولد مع الوالدين أن يستمع كلامهما، ويقوم لقيامهما، ويمتثل لأمرهما، ولايمشي أمامهما، ولايرفع صوته فوق صوتهما، ويلبّي دعوتهما، ويحرص على طلب مرضاتهما، ويخفض لهما الجناح، ولايمتنّ عليهما بالبرّ لهما، ولا بالقيام بأمرهما، ولا ينظر اليهما شزراً، ولايقطب وجهه في وجههما، ولايسافر إلا باذنهما.

قال سيّد العابدين ـ عليه السلام ـ : **«وأمّا حق أمّك، فأن تعلم أنّها حملتك حيث لايحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها مالايعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك ، وتضحي وتظلّلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحرّ والبرد لتكون لها، وانّك لا تطيق شكرها إلا بعون الله عزّوجلّ وتوفيقه.**

وأمّا حقّ أبيك، فأن تعلم أنّه أصلك ولولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مايعجبك، فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولاقوّة إلا بالله.» [٥]

هداية: آداب الصحبة مع المجاهيل والأصدقاء والمعارف:

اعلم أنّ الناس بعد هؤلاء في حقّك ثلاثة: إمّا أصدقاء، وامّا معارف، وامّا مجاهيل.

٤ ـ الكهف / ٧١.

القسم الأوّل: الجاهيل:

فان بليت بالعوام المجهولين، فأدب مجالسة العامة ترك الخوض في حديثهم، وقلة الاصغاء الى أراجيفهم، والتغافل عمّا يجري من سوء ألفاظهم، والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم، والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم.

القسم الثاني: الاخوة والأصدقاء:

وأمّا الاخوة والأصدقاء، فعليك في حقّهم وظيفتان:

احديهما: أن تطلب أوّلاً شروط الصحبة والصداقة، فلا تواخ الا من يصلح للأخوة؛ قال رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: **«المرء على دين خليله.»**[٦] فلينظر أحدكم من يخالل. فاذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلّم، وصاحباً في أمر دينك ودنياك، فراع فيه خمس خصال:

الأولى: العقل، فلا خير في صحبة الأحمق، فانّ صحبته في آخر الأمر ترجع الى الوحشة والقطيعة، فأحسن أحواله أن يضرّك وهو يريد أن ينفعك، والعدوّ العاقل خير من الصديق الأحمق؛

قال أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ، شعر[٧]:

فلا تصحب أخا الجهـ	ـل و ايّاك وايّاه
فكم من جاهل أردى	حكيماً حين واخاه
يقاس المرء بالمرء	اذا ما هو ماشاه
وللشيء على الشيء	مقائيس و أشباه
وللقلب على القلب	دليلاً حين يلقاه

الثانية: حسن الخلق، فلا تصحب من ساء خلقه، وهو الذي لايملك نفسه عند الغضب والشهوة، وقد جمع ذلك «علقمة العطاردي» في وصيّته لابنه[٨]

٦ ــ الكافي، ج ٢، ص ٣١٥، ح ٣.

٧ ــ ديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ قافية الهاء، ص ١٣١.

٨ ــ راجع ديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ.

حين حضرته الوفاة، فقال: «اذا أردت صحبة انسان، فاصحب من اذا خدمته صانك، وان صحبته زانك، وان قعدت بك مؤنة مانك. اصحب من اذا مددت يدك بخير مدّها، [وان رأى منك حسنة عارها،] وان رأى منك سيّئة سدّها. اصحب من اذا قلت صدق قولك، واذا حاولت أمراً أمّرك ، وان تنازعتما أمراً آثرك . »

وقال أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ، شعر[٩]:

إنّ أخاك الحقّ من كان معك	ومن يضرّ نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدّعك	شتّت فيه شملة ليجمعك

الثالثة: الصلاح، فلا تصحب فاسقاً مصرّاً على معصية كبيرة؛ لأنّ من يخاف الله تعالى لايصرّ على كبيرة، ومن لايخاف الله لايؤمن غائلته، بل يتغيّر بتغيّر الأغراض؛ قال الله تعالى لنبيّه ــ صلّى الله عليه وآله ــ: **«ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه.»** [١٠]

فاحذر صحبة الفاسق والفسق، فانّ مشاهدة الفسق أو المعصية على الدوام يزيل عن قلبك وقع المعصية، ويهوّن عليك أمرها، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لألفهم لها، ولو رأوا خاتماً من ذهب أو ملبوساً من حرير على فقيه، لاشتدّ انكارهم لذلك، والغيبة أشدّ من ذلك.

الرابعة: أن لايكون حريصاً على الدنيا، فصحبة الحريص على الدنيا سمّ قاتل؛ لأنّ الطباع مجبولة على التشبّة والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدري، فمجالسة الحريص تزيد في حرصك، ومجالسة الزاهدين تزيد في زهدك .

الخامسة: الصدق، فلا تصحب كذّاباً، فانّك منه على غرور، وهو مثل السراب، يقرّب منك البعيد ويبعّد منك القريب.

٩ ــ ديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ، قافية العين، ص ٧٨.
١٠ ــ الكهف / ٢٨.

هداية: حال فقدان الشروط الخمسة :

ولعلّك تعدم اجتماع هذه الخصال في سكّان المدارس والمساجد، فعليك بأحد أمرين: امّا العزلة والانفراد ففيه سلامتك، وامّا أن يكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم أنّ الاخوة ثلاثة:

أخ لآخرتك، فلا ترع فيه إلا الدين، وأخ لدنياك ، فلا ترع فيه إلا الخلق، وأخ تستأنس به، فلا ترع فيه إلا السلامة من شرّه وخبثه.

والناس ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا تستغني عنه، والآخر مثله مثل الدواء تحتاج اليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لاتحتاج اليه قط، ولكنّ العبد قد يبتلي به، وهو الذي لاأنس فيه ولانفع، فيجب مداراته الى الخلاص، وفي مشاهدته فائدة عظيمة ان وفّقت لها، وذلك أن تشاهد من خباثة أخلاقه ماتستقبحه، فالسعيد من وعظ بغيره، والمؤمن مرآة المؤمن.

وقيل لعيسى ــ عليه السلام ــ: من أدّبك؟! فقال: «ماأدّبني أحد؛ رأيت جهل الجاهل فجانبته.»[11] ولقد صدق صلوات الله عليه، فلو اجتنب الناس مايكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم، واستغنوا عن المؤدّب.

هداية: الوظيفة الثانية: مراعاة حقوق الصحبة:

فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك و بين شريكك الصحبة، فعليك حقوق توجبها عند الصحبة وفي القيام بها آداب؛

وقد قال النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله ــ: **«مثل الأخوين مثل اليدين، تغسل إحديها الأخرى.»**[12]

ودخل رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ أجمة واجتنى منها سواكين، أحدهما معوّج والآخر مستقيم، وكان معه بعض أصحابه، فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوّج، فقال: يا رسول الله! انّك أحقّ بالمستقيم منّي، فقال ــ صلّى الله

١١ ــ في الفردوس للديلمي و آداب الصحبة للسلمي كما عن المحجّة، ج ٣، ص ٢٨٥.

١٢ ــ لم نعثرعليه فيما بأيدنيا من المآخذ.

عليه وآله ـــ: **«مامن صاحب يصحب صاحباً،ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبتة: هل أقام فيه حقّ الله تعالى أو أضاعه!»** [١٣]

وقال ـــ صلّى الله عليه وآله ـــ: **«ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحبّهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه.»**

هداية :

فأدب الصحبة: الايثار بالمال، فان لم يمكن فبذل الفضل من المال عند الحاجة، والاعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج الى الالتماس، وكتمان السرّ وستر العيوب، والسكوت عن تبليغ مايسوءه من مذمة الناس ايّاه، وابلاغ مايسرّه من ثناء الناس عليه، وحسن الاصغاء عند الحديث، وترك الممارات فيه، وأن يدعوه بأحبّ أسمائه اليه، وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه،وأن يشكره على صنيعه في حقّه، وأن يذبّ عنه في غيبته إذاتعرّض لعرضه كمايذبّ عن نفسه،وأن ينصحه باللطف والتعريض اذااحتاج الى ذلك ،وأن يعفو عن زلّته وهفوته ولا يعتب عليه، وأن يدعو له في صلا ته في حياته و بعد مماته، وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقار به بعد موته، وأن يؤثر التخفيف عنه، فلا يكلّفه شيئاً من حاجاته فيروح سرّه عن مهمّاته، وأن يظهر الفرح بجميع مايتاح له من مسارّه، والحزن بما يناله من مكارهه، وأن يضمر مثل مايظهر، فيكون صادقاً في ودّه سرّاً وعلناً، وأن يبدأه بالسلام عند اقباله، وأن يوسّع له في المجالس ويخرج له عن مكانه، وأن يشيّعه عند قيامه، وأن يصمت عند كلامه حتّى يفرغ من خطابه، و يترك المداخلة في كلامه.

وعلى الجملة: فيعامله بما يحبّ أن يعامل به، فمن لايحبّ لأخيه مايحبّ لنفسه، فأخوّته نفاق، وهو عليه في الدنيا والآخرة و بال. فهذا أدبك في حقّ العوام المجهولين، وفي حقّ الأصدقاء المؤاخين.

١٣ ـــ الكافي، ج ٢، ص ٦٦٩، ح ٣؛ والبحار، ج ٧٥، باب الرفق واللين، ص ٦٤، ح ٣٤، نقلاً عنه، و ص ٥٤، ح ١٩، نقلاً عن نوادر الراوندي.

هداية: القسم الثالث: المعارف:

أمّا القسم الثالث وهم المعارف، فاحذر منهم، فانّك لا ترى الشرّ إلا ممّن تعرفه، أمّا الصديق فيعينك، وأمّا المجهول فلا يتعرّض لك. وانّما الشرّ كلّه من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم، فاقلل من المعارف ماقدرت. فاذا بليت بهم في مدرسة جامعة أو مسجد أو بلد أو سوق، فيجب أن لا تستصغر منهم أحداً، فانّك لا تدري لعلّه خير منك، ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك، لأنّ الدنيا صغيرة عند الله صغير مافيها، ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك، فقد سقطت عن عين الله. وايّاك أن تبذل لهم دينك لتنال دنياهم! فلم يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم. ثمّ حرم ماعندهم، وان عادوك فلا تقابلهم بالعداوة، فلا تطيق الصبر على مكافاتهم، ويذهب دينك فيهم، ويطول عناؤك معهم.

ولا تسكن اليهم في اكرامهم ايّاك، وثنائهم عليك في وجهك، واظهارهم المودّة لك، فانّك ان طلبت حقيقة ذلك، لم تجد في المائة واحداً، فلا تطمع أن يكونوا لك في العلن والسرّ واحداً، ولا تتعجّب ان ثلبوك في الغيبة ولا تغضب منه، فانّك ان أنصفت وجدت من نفسك مثل ذلك، حتّى في أصدقائك وأقاربك، بل في أستاذك ووالديك، فانّك تذكرهم في الغيبة بما لا تشافههم به. واقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم، فانّ الطامع في الأكثر خائب في المآل، وهو ذليل لامحالة في الحال، فاذا سألت واحداً حاجة فقضاها، فاشكر الله تعالى واشكره، وان قصّر فلا تعاتبه، ولا تشكه فتصير عداوة، وكن كالمؤمن يطلب المعاذير، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب، فقل: لعلّه قصّر لعذر له لم أطّلع عليه. ولا تفطن أحداً منهم مالم تتوسّم أوّلاً مخايل القبول فيه، و إلا لم يسمع منك، وصار خصماً عليك.

واذا أخطؤا في مسألة وكانوا يأنفون من التعلّم من كلّ أحد، فلا تعلّمهم فانّهم يستفيدون منك علماً، ويصبحون لك عدوّاً، إلا اذا تعلّق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل، فاذكر الحقّ بلطف من غير عنف.

واذا رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذي حبّبك اليهم، وان رأيت منهم شرّاً فكلهم الى الله عزّوجلّ، واستعذ بالله من شرّهم، ولا تعاتبهم، ولا تقل لهم: لم يعرفوا حقّي وأنا فلان بن فلان، وأنا الفاضل في العلوم، فانّ ذلك كلام الحمقىٰ، وأشدّ الناس حماقة من يزكّي نفسه و يثني عليها.

واعلم أنّ الله لايسلّطهم عليك إلا لذنب سبق منك، فاستغفر الله من ذنبك، واعلم أنّ ذلك عقوبة من الله لك، وكن فيما بينهم سميعاً لحقّهم، أصمّ عن باطلهم، نطوقاً بمحاسنهم، صموتاً عن مساويهم.

واحذر مخالطة متفقّهة الزمان لاسيّما المستعلنين بالخلاف والجدال منهم، فانّهم يتربصون بك لحسدهم ريب المنون، و يقطعون عليك بالظنون، و يتغامزون وراءك بالعيون؛ يحصون عليك عثراتك في عشرتهم، حتّى يهجوك بها في غضبهم ومناظرتهم، لايقبلون لك عثرة، ولايغفرون زلّة، ولايسترون عورة؛ يحاسبون على النقير والقطمير، و يحسدون على القليل والكثير، ويحرّضون عليك الاخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان؛ ان رضوا فظاهرهم الملق، وان سخطوا فباطنهم الحنق؛ ظاهرهم ثياب و باطنهم ذياب.

هذا ماقطعت به المشاهدة في أكثرهم، إلا من عصمه الله، فصحبتهم خسران، ومعاشرتهم خذلان. هذا حكم من يظهر لك الصداقة، فكيف من يظاهرك بالعداوة؟ احذر عدوّك مرة واحذر صديقك ألف مرّة. فلربما انقلب الصديق [عدوّاً]، فكان أبصر بالمضرّة، ولذلك قيل، شعر:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرنّ من الصحاب
فانّ الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي، شعر:

لماعفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من همّ العداوات
انّي أحيّي عدوّي عندرؤيته ... لادفع الشرعنّي بالتحيّات
وأحسن البشر للانسان أبغضه ... كأنّه قد ملأ قلبي مسرّات
ولست أسلم ممّن لست أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودّات
الناس داء، دواء الناس تركهم ... وفي الجفاء لهم قطع الأخوات

فخالق الناس واصبرمابقيت لهم   أصمّ أبكم أعمى ذات تقيّات

وصيّة أحد العلماءفي الموضوع:

وكن أيضاً كما قال بعض الحكماء: «ألق صديقك وعدوّك بوجه الرضا من غير ذلّة لهم، ولا هيبة منهم، وتوقّر في غير كبر، وتواضع في غير مذلّة، وكن في جميع أمورك في أوسطها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، ولا تنظر في عطفيك. ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، واذا جلست فلا تستوفز، وتحفظ من تشبّك أصابعك، والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وادخال أصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك وتنخّمك، وطرد الذباب عن وجهك، وكثرة التمطي، والتثأب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها، وليكن مجلسك هادياً وحديثك منظوماً مرتّباً، وأصغ الى الكلام الحسن ممّن حدّثك بغير اظهار تعجّب مفرط، ولا تسأله اعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات، ولاتحدّث عن اعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر مايخصّك، ولا تصنع كما تصنع المرأة في التزين، ولا تبذّل تبذّل العبد، وتوقّ كثرة الكحل والاسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجّع أحداً على الظلم، ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك، فانّهم ان رأوه قليلاً هنت عليهم، وان كان كثيراً لم تبلغ قط رضاهم، واجفهم من غير عنف، ولن لهم من غير ضعف، ولاتهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك، واذا خاصمت فتوقر، وتحفظ من جهلك وعجلتك، وتفكّر في حجّتك، ولا تكثر الاشارة بيدك، ولا تكثر الالتفات الى من وراءك، ولاتجث على ركبتيك، واذا هدأ غضبك فتكلّم، وان قرّبك سلطان فكن منه على حد السنان، واياك وصديق العافية! فانّه أعدى الأعداء، ولاتجعل مالك أكرم من عرضك.

فهذا القدر يافتى يكفيك في الابتداء، فجرّب بها نفسك، فانّها ثلاثة أقسام:

قسم في أداء الطاعات، وقسم في ترك المعاصي، وقسم في مخالطة الناس. وهي جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق والخلق. فان رأيتها مناسبة

لنفسك، ورأيت قلبك مائلاً اليها، راغباً في العمل بها، فاعلم أنّك عبد نوّر الله بالايمان قلبك، وشرح له صدرك ، وتحقق أنّ لهذه البداية نهاية، ووراءها أسرار وأغوار وعلوم ومكاشفات، فاشتغل بتحصيله. وان رأيت نفسك تستثقل العمل بهذه الوظائف، وتسترك هذا الفنّ من العلم، وتقول لك: أنّى ينفعك هذا العلم في محافل العلماء؟ ومتى يقدمك هذا على الأقران والنظراء؟ وكيف يرفع منصبك في مجالس الأمراء والوزراء ليوصلك الى الصلة والادرار وولاية الأوقاف والقضاء؟ فاعلم أنّ الشيطان قد أغواك وأنساك متقلّبك ومثواك ، فاطلب شيطاناً مثلك ليعلّمك ماتظنّ أنّه يوصلك الى بغيتك. ثمّ اعلم أنّه قطّ لايصفوا لك الملك في محلّتك فضلاً عن قريتك و بلدتك، ثمّ يفوتك به الملك القيم والنعيم الدائم في جوار ربّ العالمين.»

هذا ملخّص ما أفاده بعض العلماء في هذا المقام، والسلام على من اتّبع الهدى.

خاتمــة

قال بعض العلماء: «اعلم أيّها الحريص على اقتناص العلم، المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطّش! انّك ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهات والتقدّم على الأقران، واستمالة وجوه الناس، وجمع حطام الدنيا، فأنت ساع في هدم دينك واهلاك نفسك، و بيع آخرتك بدنياك ، فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة، ومعلّمك معين لك على عصيانك، وشريك لك في خسرانك، وهو كبائع سيف من قاطع طريق، ومن أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكاً فيها.

وان كان نيّتك وقصدك بينك و بين الله تعالى من تعلّم العلم الهداية به دون مجرّد الرواية فابشر، فانّ الملائكة تبسط لك أجنحتها اذا مشيت، وحيتان البحر استغفر لك اذا سعيت.

واعلم أنّ الناس في طلب العلم على ثلا ثة أحوال:

رجل طلب العلم ليتخذه زاده الى المعاد، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة، فهذا من الفائزين.

ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة، و ينال من العزّوالمال، وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله وخسّة مقصده، فهذا من المخاطرين، ومن الحمقاء المغرورين فانّ عاجله آجله قبل التو بة، خيف عليه سوء الخاتمة، و بقي أمره في خطر المشيّة، فان وفّق للتوبة قبل حلول الأجل، وأضاف الى العلم العمل، وتدارك مافرّط من الخلل، التحق بالفائزين، فانّ التائب من الذنب

كمن لاذنب له.

ورجل ثالث، استحوذ عليه الشيطان، فاتّخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال، والتفاخر بالجاه، والتعزّز بكثرة الاتباع، يدخل بعلمه[١] كلّ مدخل رجاء أن يقضي من الدنيا وطره، وهو مع ذلك يضمر في نفسه أنّه عند الله بمكان، لاتسامه بسمة العلماء، وترسّمه برسومهم في الزيّ والمنطق مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً. فهذا من الهالكين، ومن الحمقاء المغرورين؛ اذ الرجاء منقطع به عن توبته لظنّه أنّه من المحسنين. وهو ممّن قال فيهم رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «أنا من غير الدجّال أخوف عليكم من الدجال» فقيل: وما هو؟! قال: «العلماء السوء»[٢]

وهذا لأنّ الدجال غايته الاضلال ومثل هذا العالم ان صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله، فهو داع لهم اليها بأعماله وأحواله [وأفعاله] ولسان الحال أنطق من لسان المقال، وطباع الناس الى المساعدة في الأعمال أميل منها الى المتابعة في الأقوال، فما أفسده هذا المغرور باعماله أكثر ممّا أصلحه بأقواله اذا لايستجرئ الجاهل على الرغبة في الدنيا الا باستجراء العلماء فقد صار علمه سبباً لجرأة عباد الله تعالى على معاصيه؛ ونفسه الجاهلة مع ذلك تمنّيه وترجّيه وتدعوه الى أن يمنّ على الله بعلمه، وتخيّل أنّه خير من كثير من عباده.

فكن أيّها الطالب من الفريق الأوّل! واحذر أن تكون من الفريق الثاني، فكم من مستوف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر.

وايّاك ثمّ ايّاك أن تكون من الفريق الثالث! فتهلك هلاكاً لا يرجى فلاحك ولاينتظر صلاحك. انتهى كلامه أعلى الله مقامه.

هذا انتهاء منهاج النجاة، وهو[٣] تاريخ اتمام تصنيفه.

١ ــ خ. ل: «بعمله».
٢ ــ مسند أحمد، ج ٥، ص ١٤٥، باختلاف يسير.
٣ ــ المراد من الضمير هو جملة «انتهاء منهاج النجاة»، وهي على حساب الأعداد تبلغ ألف وواحد وأربعين، وهو تاريخ إتمام تصنيف الكتاب.

الفهرست

المقصد الاوّل في الاعتقادات (١٧ ــ ٥٤)

المقصد الثاني في الأعمال (٥٥ ــ ١٤٣)